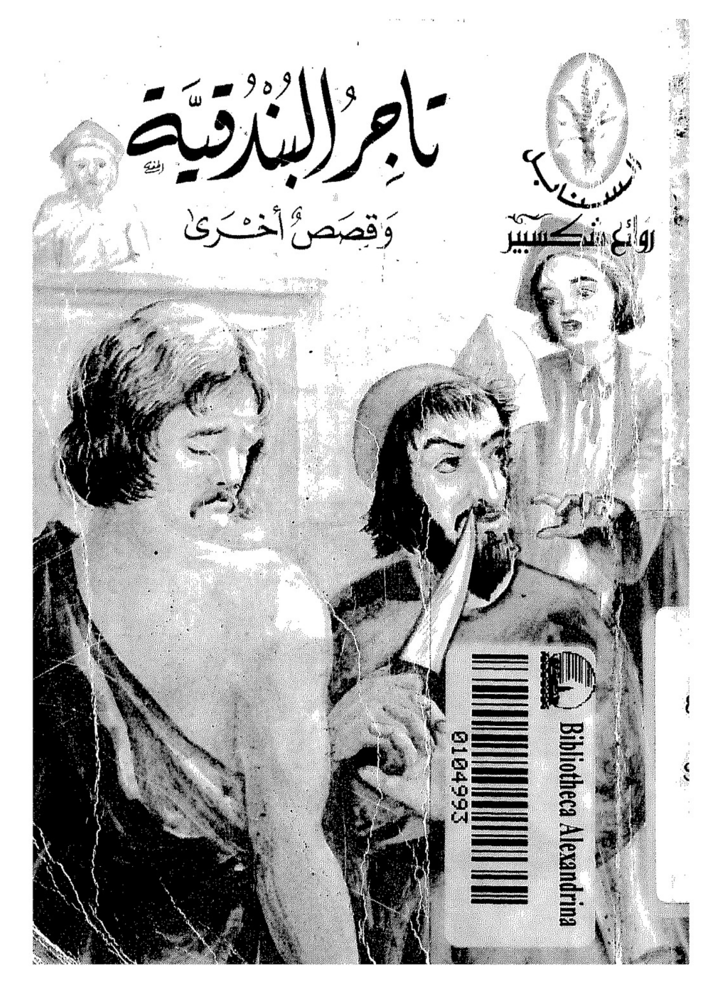

السنابل
روائع شكسبير
تاجر البندقية
وقصص أخرى
Bibliotheca Alexandrina
0104993

تَاجِرُ البُنْدُقِيَّة

وَقِصَصٌ أُخْرَى



© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان
١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة
جميع الحقوق محفوظة : لايجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه أو تسجيله بأية وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الثانية
رقم الإيداع : ٢٣٠٠ / ٨٨
الترقيم الدولى : ISBN ٩٧٧-١٤٤٥-٥٨-٨

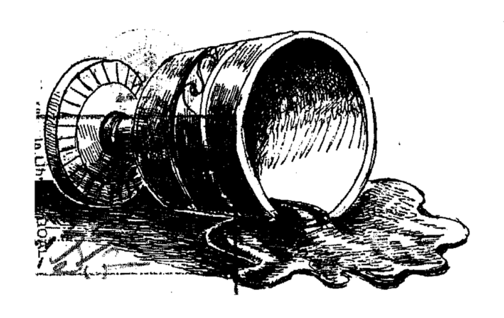
طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة



روائع شكسبير

تاجر البندقية

وقصص أخرى



تأليف : وليم شكسبير
إعداد : سمير المنشاوي
رسوم : محمد نبيل عبد العزيز

مكتبة لبنان
بيروت

تاجِرُ ٱلبُنْدُقِيَّةِ

أَنْطُونْيُو وَبَسّانْيُو

في مَدِينَةِ ٱلبُنْدُقِيَّةِ بِإيطَالْيا ، كانَ يَعيشُ تاجِرٌ ٱسْمُهُ أَنْطُونْيُو . وَكانَ مَحْبوبًا مِنْ أَهالي ٱلمَدينَةِ ، لِأَنَّهُ كانَ رَجُلًا طَيِّبَ ٱلقَلْبِ ، مُسْتَعِدًّا لِمُعاوَنَةِ مَنْ يَسْعَى إِلَيْهِ .

كانَ يَمْلِكُ سُفُنًا كَثِيرةً يُتاجِرُ بِها مَعَ أَقْطارٍ أُخْرَى ، وَكانَتْ هٰذِهِ ٱلسُّفُنُ في عُرْضِ ٱلبَحْرِ عِنْدَما بَدَأَتْ قِصَّتُنا هٰذِهِ .

كانَ لِأَنْطُونْيُو صَديقٌ حَميمٌ يُحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ ، وَهُوَ بَسّانْيُو ٱلَّذي وَرِثَ عَنْ أَبيهِ ثَرْوَةً طائِلةً . سَرْعانَ ما أَنْفَقَها كُلَّها ؛ وَأَصْبَحَ فَقيرًا جِدًّا ، وَفي غايَةِ ٱلحُزْنِ وَالتَّعاسةِ .

في يَوْمٍ مِنَ ٱلأَيّامِ ، أَخْبَرَ بَسّانْيُو صَديقَهُ أَنْطُونْيُو أَنَّهُ يُحِبُّ سَيِّدَةً جَميلةً وَثَرِيَّةً تُدْعى بُورْشِيا تَعيشُ في بَلْدةِ بِلْمونْت ٱلقَريبةِ مِنْ مَدينةِ ٱلبُنْدُقِيَّةِ . وَكانَتْ عَظيمةَ الثَّراءِ ، لِأَنَّها وَرِثَتْ أَمْوالَ أَبيها الطّائِلَةَ . وَكانَ بَسّانْيُو حَزينًا لِعَجْزِهِ عَنْ أَنْ يَتَقَدَّمَ لِلزَّواجِ مِنْ بُورْشِيا ، في ٱلوَقْتِ ٱلَّذي لا يَمْلِكُ فيهِ مالًا . وَكانَ يَعْرِفُ أَنَّ كَثيرًا مِنَ الشُّبّانِ ٱلأَغْنياءِ في طَريقِهِمْ إلى بِلْمونْت لِلْفَوْزِ بِالزَّواجِ مِنْ بُورْشِيا . لِهٰذا طَلَبَ مِنْ أَنْطُونْيُو أَنْ يُقْرِضَهُ ثَلاثَةَ آلافِ دُوكَات (وَهِيَ ٱلعُمْلَةُ ٱلمُتَداوَلَةُ في ٱلبُنْدُقِيَّةِ في ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ) .

قالَ لِأَنْطُونْيُو : «أَرْجُو أَنْ تُقْرِضَني هٰذا ٱلمَبْلَغَ مِنَ ٱلمالِ ، وَسَأَرُدُّهُ لَكَ ، فِيما بَعْدُ .. فَلَوْ كانَ عِنْدي ما يَكْفِي مِنَ ٱلمالِ ، لَذَهَبْتُ إلى بِلْمونْت وَطَلَبْتُ يَدَ بُورْشِيا ٱلجَميلةِ . »

أَجابَ أَنْطُونْيُو : «لَيْسَ عِنْدِيَ ٱلآنَ أَيُّ نُقودٍ ؛ فَكُلُّ أَمْوالي وَبَضائِعي في عُرْضِ ٱلبَحْرِ كَما تَعْرِفُ . اِبْحَثْ عَن شَخْصٍ آخَرَ يَعْرِفُني وَيُوافِقُ عَلى إقْراضي هٰذا ٱلمَبْلَغَ . وَعِنْدَما أَحْصُلُ عَلَيْهِ ، أُقْرِضُهُ لَكَ كَيْ تَسْتَطيعَ الذَّهابَ إلى بِلْمونْت وَتَتَزَوَّجَ بُورْشِيا . »

شَيْلُوك

ذَهَبَ بَسّانْيُو إلى مُرابٍ يُعْرَفُ بِاسْمِ شَيْلُوك عِنْدَهُ أَمْوالٌ كَثِيرةٌ يُحِبُّها حُبًّا جَمًّا . وَكانَ مِنْ عادَتِهِ أَنْ يُقْرِضَ ٱلمالَ لِلتُّجّارِ ، ثُمَّ يَجْعَلَهُمْ يُسَدِّدونَ هٰذِهِ ٱلمَبالِغَ أَضْعافًا مُضاعَفةً ؛ وَلِذٰلِكَ لَمْ يَكُنْ تُجّارُ ٱلبُنْدُقِيَّةِ يُحِبُّونَهُ . وَقَدْ دَأَبَ أَنْطُونْيُو عَلى تَحْذيرِهِمْ مِنْهُ .

لَمْ يَكُنْ شَيْلُوك يُحِبُّ أَنْطُونْيُو قَطُّ . وَكانَ يَقولُ : «إنَّ أَنْطُونْيُو طَيِّبُ ٱلقَلْبِ ، وَيُقْرِضُ مالَهُ لِأَيِّ شَخْصٍ . وَلا يَطْلُبُ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا أَنْ يَرُدَّ لَهُ أَكْثَرَ مِمّا اقْتَرَضَ ، وَبِهٰذا يَجْعَلُ ٱلأُمورَ صَعْبةً بِالنِّسْبةِ لِي . »

كانَ شَيْلُوك خَبيثًا ، فَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَشْعُرَ أَحَدٌ بِأَنَّهُ عَدُوُّ أَنْطُونْيُو . وَعِنْدَما طَلَبَ مِنْهُ بَسّانْيُو أَنْ يُقْرِضَهُ ثَلاثَةَ آلافِ دُوكَات لِمُدَّةِ ثَلاثةِ أَشْهُرٍ ، فَهِمَ شَيْلُوك أَنَّ أَنْطُونْيُو سَيَقَعُ حَتْمًا في قَبْضةِ يَدِهِ ، وَأَخَذَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ : «لَنْ أَصْفَحَ عَنْ أَنْطُونْيُو أَبَدًا ، وَلَنْ أَشْعُرَ بِالسَّعادةِ حَتّى أُوقِعَ بِهِ . »

تَذَكَّرَ شَيْلُوك ٱلمَرَّاتِ ٱلعَديدةَ ٱلَّتي وَبَّخَهُ فيها أَنْطُونْيُو ؛ وَلِذٰلِكَ عِنْدَما الْتَقى بِأَنْطُونْيُو قالَ لَهُ : «إِنَّكَ لا تُحِبُّ الطَّريقَةَ الَّتي أَكْسِبُ بِها مالي . وَلَقَدْ قُلْتَ إِنَّني كَلْبٌ ، وَعامَلْتَني مُعامَلَةَ ٱلكَلْبِ ، وَٱلآنَ تَأْتي إِلَيَّ طالِبًا مالًا ! فَهَلْ عِنْدَ ٱلكَلْبِ مالٌ ؟! هَلْ يُمْكِنُ لِكَلْبٍ أَنْ يُقْرِضَ شَخْصًا ثَلاثَةَ آلافِ دُوكَات ؟! هَلْ أَنْحَني لَكَ ، وَأَشْكُرُكَ لِمُعامَلَتي كَكَلْبٍ ؟! هَلْ أُقْرِضُكَ مالًا ؟!»

أَجابَ أَنْطُونْيُو : «إِنْ أَقْرَضْتَني ٱلمالَ ، فَلا تُعْطِنيهِ كَصَديقٍ ، بَلْ كَعَدُوٍّ ؛ وَإِنْ لَمْ أَتَمَكَّنْ مِنْ إِيفائِهِ ، فَافْعَلْ بي ما تَشاءُ .»

قالَ شَيْلُوك : «أُريدُ أَنْ أَكونَ صَديقًا لَكَ ، وَسَأَنْسى كُلَّ ما حَدَثَ بَيْنَنا في ٱلماضي ، وَأُقْرِضُكَ ٱلمالَ .» وَعِنْدَئِذٍ تَظاهَرَ شَيْلُوك بِالضَّحِكِ ، وَقالَ : «دَعْنا نَلْعَبُ لُعْبَةً عَلى سَبيلِ ٱلمُزاحِ : عِدْني ، إِنْ لَمْ تَرُدَّ لي مالِي بَعْدَ ثَلاثَةِ أَشْهُرٍ ، تُعْطِني رَطْلًا مِنْ لَحْمِكَ ، وَتَسْمَحْ لي بِقَطْعِ اللَّحْمِ مِنْ أَيِّ جُزْءٍ مِنْ جِسْمِكَ .»

ضَحِكَ أَنْطُونْيُو أَيْضًا وَوافَقَ عَلى هٰذا . فَلَمْ يَكُنْ يَظُنُّ أَنَّ شَيْلُوك كانَ يَعْني – حَقيقَةً – ما يَقُولُهُ .

لٰكِنَّ بَسّانْيُو كانَ خائِفًا ، فَقالَ : «أَعْتَقِدُ أَنَّ شَيْلُوك سَيَفْعَلُ ما يَقُولُهُ . إِنَّني لا أُريدُكَ أَنْ تَحْصُلَ عَلى ٱلمالِ مِنْ شَيْلُوك .»

قالَ أَنْطُونْيُو : «لا تَخَفْ ! فَفي خِلالِ شَهْرَيْنِ سَتَعودُ سُفُني ؛ وَسَتَجْلُبُ لِيَ ٱلكَثيرَ مِنَ ٱلأَمْوالِ »

اِقْتَرَضَ أَنْطُونْيُو ٱلمالَ مِنْ شَيْلُوك وَقَدَّمَهُ إلى بَسّانْيُو .

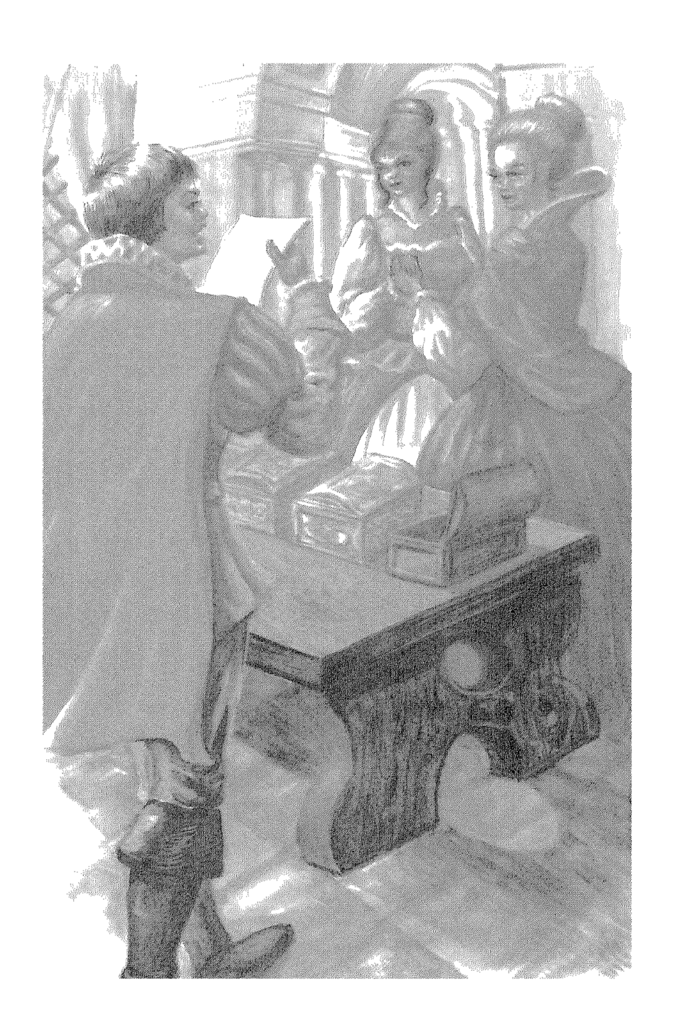
الصَّناديقُ الثَّلاثةُ

فَكَّرَ والِدُ بُورْشِيا – قَبْلَ مَوْتِهِ – في طَرِيقةٍ يَجِدُ بِها زَوْجًا صالِحًا لِابْنَتِهِ . وَكانَ يَقولُ في نَفْسِهِ : «إنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَقَدَّمَ كَثيرٌ مِنَ الشُّبّانِ لِلزَّواجِ بِابْنَتي ، لِمُجَرَّدِ أَنَّها غَنِيَّةٌ ؛ وَلِهٰذا سَأَتْرُكُ ثَلاثةَ صَناديقَ صَغِيرةٍ ؛ أَوَّلُها مَصْنوعٌ مِنَ الذَّهَبِ ، وَالثّاني مِنَ ٱلفِضَّةِ ، وَالثّالِثُ مِنَ الرَّصاصِ . وَعَلى مَنْ يُريدُ الزَّواجَ بِها أَنْ يَخْتارَ مِنْها الصُّنْدوقَ الصَّحيحَ . »

كانَتْ بُورْشِيا تَتَحَدَّثُ مَعَ خادِمَتِها نِرِيسّا عَنْ كُلِّ الشُّبّانِ ٱلَّذينَ جاءُوا سَعْيًا وَراءَ ٱلفَوْزِ بِها ، عِنْدَما دَخَلَ ٱلغُرْفةَ خادِمٌ وَأَعْلَنَ أَنَّ أَميرًا جاءَ مِنْ إفْرِيقِيّة . عَرَضَتْ بُورْشِيا عَلَيْهِ الصَّناديقَ الثَّلاثةَ ، فَأَخَذَ يَقْرَأُ بِعِنايةٍ ٱلمَكْتوبَ عَلى كُلِّ صُنْدوقٍ .

كانَتْ عَلى الصُّنْدوقِ الذَّهَبِيِّ هٰذِهِ ٱلكَلِماتُ : «إنَّ مَنْ يَخْتارُني يَحْصُلُ عَلى ما يُريدُهُ ٱلكَثيرُ مِنَ الرِّجالِ . »وَعَلى الصُّنْدوقِ الفِضِّيِّ : «إنَّ مَنْ يَخْتارُني يَحْصُلُ عَلى ما يَسْتَحِقُّهُ . » أَمّا الصُّنْدوقُ ٱلمَصْنوعُ مِنَ الرَّصاصِ ، فَكانَتْ عَلَيْهِ هٰذِهِ ٱلكَلِماتُ : «إنَّ مَنْ يَخْتارُني يَلْتَزِمُ بِأَنْ يُعْطِيَ ، وَأَنْ يَكونَ مُسْتَعِدًّا لِأَنْ يَفْقِدَ كُلَّ ما عِنْدَهُ . »

قالَتْ بُورْشِيا : «إنَّ صُورَتي في ٱلصُّنْدوقِ الصَّحيحِ ، فَاخْتَرِ الصُّنْدوقَ ٱلَّذي تُريدُهُ . »



فَكَّرَ ٱلأَميرُ في ٱلكَلِماتِ ٱلَّتي عَلى الصَّناديقِ الثَّلاثةِ ، وَقالَ : «إنَّ ٱلعالَمَ كُلَّهُ يَسْعى وَراءَ الذَّهَبِ ، وَإنَّ ٱلجَميعَ يَسْعَوْنَ إلى بُورْشِيا ؛ وَلِهٰذا فَإنَّني أَخْتارُ الصُّنْدوقَ الذَّهَبِيَّ . »

أَخَذَ مِفْتاحَ الصُّنْدوقِ مِنْ بُورْشِيا ، وَعِنْدَما فَتَحَهُ أَصابَتْهُ الدَّهْشَةُ ، حِينَ رَأى بِداخِلِهِ جُمْجُمةَ رَجُلٍ مَيْتٍ ، وَقُصاصةً مِنَ ٱلوَرَقِ عَلَيْها ٱلكَلِماتُ ٱلآتِيةُ : «لَيْسَ كُلُّ ما يَلْمَعُ ذَهَبًا . »

رَحَلَ ٱلأَميرُ وَقَلْبُهُ مُثْقَلٌ بِٱلحُزْنِ ، وَفَرِحَتْ بُورْشِيا بِرَحيلِهِ .

جاءَ أَميرٌ فَرَنْسِيٌّ ، وَكانَ عَظيمَ ٱلكِبْرِياءِ ، وَلِذٰلِكَ اخْتارَ الصُّنْدوقَ ٱلفِضِّيَّ ٱلمَكْتوبَ عَلَيْهِ : «إنَّ مَنْ يَخْتارُني يَحْصُلُ عَلى ما يَسْتَحِقُّهُ . » وَقالَ ٱلأَميرُ ٱلمُتَكَبِّرُ : «إنَّني رَجُلٌ عَظيمٌ ؛ وَلِهٰذا يَنْبَغي أَنْ أَحْصُلَ عَلى كُلِّ ما أَرْغَبُ فيهِ . »

وَفَتَحَ الصُّنْدوقَ ، فَوَجَدَ فيهِ صُورَةً لِرَأْسِ شَخْصٍ مُهَرِّجٍ أَبْلَهَ ، كَما وَجَدَ أَيْضًا قُصاصةً مِنَ ٱلوَرَقِ مَكْتوبًا عَلَيْها : « هُناكَ ٱلكَثيرُ مِنَ ٱلحَمْقى ٱلمُغَلَّفينَ بِٱلفِضَّةِ ! » وَقالَ ٱلأَميرُ : «لَقَدْ كُنْتُ مُغَفَّلًا ! » وَذَهَبَ إلى حالِ سَبيلِهِ .

بَسَّانْيُو يَزورُ بُورْشِيا

جاءَ خادِمٌ إلى بُورْشِيا وَقالَ لَها : «إنَّ شابًّا مِنْ مَدينةِ ٱلبُنْدُقيَّةِ قادِمٌ إلَيْكِ سَعْيًا وَراءَ ٱلفَوْزِ بِيَدِكِ . »

كانَ هٰذا الشّابُّ هُوَ بَسّانْيو ، وَكانَ مَعَهُ ٱلعَديدُ مِنَ ٱلخَدَمِ . وَكانَ هُناكَ أَيْضًا رَجُلٌ يُدْعى غراشْيانُو ، وَهُوَ تابعُ بَسّانْيو وَصَديقُهُ .

كانَتْ بُورْشِيا تُحِبُّ بَسّانْيو ، فَقالَتْ لَهُ : «أَرْجُو أَنْ تَنْتَظِرَ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ قَبْلَ أَنْ تُسْرِعَ في ٱلِاخْتِيارِ ، فَإِنَّكَ إِنِ اخْتَرْتَ الصُّنْدوقَ غَيْرَ الصَّحيحِ فَلَنْ أَراكَ بَعْدَ ذٰلِكَ . إِنَّني أَوَدُّ أَنْ تَبْقى مَعي هُنا شَهْرًا أَوْ شَهْرَيْنِ قَبْلَ أَنْ تَخْتارَ ، وَيُمْكِنُني أَنْ أُرْشِدَكَ كَيْفَ تَخْتارُ الصُّنْدوقَ الصَّحيحَ ، غَيْرَ أَنَّني وَعَدْتُ أَبي أَلّا أَفْعَلَ ذٰلِكَ . »

قالَ بَسّانْيو : «لا ، دَعِيني أَخْتارُ ٱلآنَ ؛ فَإِنَّني لا أُطيقُ ٱلِانْتِظارَ . »

بَسّانْيو يَخْتارُ

نَظَرَ بَسّانْيو إلى الصُّنْدوقَيْنِ – الذَّهَبِيِّ وَٱلفِضِّيِّ – وَقالَ : «إِنَّ تِلْكَ ٱلأَشْياءَ الَّتي تَبْدو جَميلةً في مَظْهَرِها لا تَكونُ دائِمًا جَميلةً في جَوْهَرِها . إِنَّ الصُّنْدوقَ الرَّصاصيَّ لا يَعِدُني بِشَيْءٍ . إِنَّهُ يَطْلُبُ مِنّي أَنْ أَكونَ عَلى اسْتِعْدادٍ كَيْ أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ لِمَنْ أُحِبُّ ؛ وَلِذٰلِكَ سَأَخْتارُهُ . » وَفَتَحَ الصُّنْدوقَ ، فَرَأى فيهِ صُورةَ بُورْشِيا ، ثُمَّ قَرَأَ قُصاصةَ ٱلوَرَقِ الَّتي بِالصُّنْدوقِ . وَكانَتْ بِها هٰذِهِ ٱلكَلِماتُ : «إِنْ كُنْتَ مَسْرورًا بِهٰذا ، فَتَوَجَّهْ إِلى امْرَأَتِكَ ، وَقَبِّلْها . » حِينَئِذٍ ٱلْتَفَتَ بَسّانْيو إلى بُورْشِيا وَقالَ لَها : «سَيِّدَتي ٱلعَزيزةَ ، هَلْ تَقْبَلينَ بي زَوْجًا ؟ »

أَجابَتْ : «أَتَمَنّى لَوْ كُنْتُ أَجْمَلَ أَلْفَ مَرَّةٍ ، وَأَغْنى عَشَرَةَ آلافِ مَرَّةٍ ،

حَتّى أكونَ جَديرةً بِكَ ؛ إنَّني أُهَبُكَ نَفْسي ، وَكُلَّ ما أَمْلِكُ . » وَخَلَعَتْ خاتَمًا مِنْ إصْبَعِها ، وَأَعْطَتْهُ إيّاهُ قائِلةً: « خُذْ هٰذا ٱلخاتَمَ ، وَإذا فَقَدْتَهُ ، أَوْ أَعْطَيْتَهُ لِأَحَدٍ ، فَسَيَكونُ هٰذا نِهايةَ لِحُبِّنا . »

رَدَّ عَلَيْها بَسّانْيو قائِلًا : « إنْ فارَقَ هٰذا ٱلخاتَمُ إصْبَعي ، فارَقَتْني ٱلحَياةُ . » وَبَيْنَما هُما يَتَجاذَبانِ أَطْرافَ ٱلحَديثِ ، انْضَمَّ إلَيْهِما غراشْيانُو وَنِرِيسّا ٱلَّتي قالَتْ : « نَتَمَنّى لَكُما السَّعادةَ في حَياتِكُما الزَّوْجيَّةِ . وَسَوْفَ نَتَزَوَّجُ أَنا وَغراشْيانُو أَيْضًا . »

رِسالةٌ مِنْ أَنْطُونْيُو

في ٱلوَقْتِ ٱلَّذي كانَ فيهِ السُّعَداءُ ٱلأَرْبعةُ يُرَتِّبونَ أُمورَ زَواجِهِمْ ، وَصَلَ ثَلاثةُ أَصْدِقاءَ مِنَ ٱلبُنْدُقيَّةِ وَمَعَهُمْ خِطابٌ مِنَ أَنْطُونْيُو . فَتَحَ بَسّانْيو ٱلخِطابَ ، وَبَدَأَ يَقْرَأُهُ . نَظَرَتْ بُورْشِيا إلى وَجْهِ بَسّانْيو ، وَأَدْرَكَتْ أَنَّ هُناكَ أَمْرًا بالِغَ السُّوءِ قَدْ حَدَثَ ، فَقالَتْ لَهُ : «أَنا شَريكةُ عُمْرِكَ وَيَنْبَغي أَنْ أُشارِكَكَ مَتاعِبَكَ . أَخْبِرْني ماذا حَدَثَ ؟! »

قالَ لَها : « هُنا كَلِماتٌ قَليلةٌ ، وَلٰكِنَّها أَسْوَأُ ما كُتِبَ . » ثُمَّ أَخْبَرَها بِوَعْدِ أَنْطُونْيُو لِشَيْلُوك .

سَأَلَتْهُ : « كَمْ يَجِبُ أَنْ يَدْفَعَ أَنْطُونْيُو لِشَيْلُوك ؟ »

أَجابَها : « ثَلاثةَ آلافِ دُوكَات . »



قالَتْ : «ثَلاثَةَ آلافٍ فَحَسْبُ ؟! إنَّ لَدَيَّ مِنَ المالِ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ بِكَثيرٍ ، فَلْتُعْطِهِ سِتَّةَ آلافٍ أَوْ تِسْعَةً .. اِقْرَأْ عَلَيَّ خِطابَهُ . »

وَقَرَأَ بَسّانْيو الرِّسالَةَ :

«لَقَدْ فَقَدْتُ كُلَّ سُفُني . وَلَمْ يَعُدْ لَدَيَّ مالٌ أُسَدِّدُ بِهِ دَيْنَ شَيْلوك ؛ لِذا سَأُعْطيهِ رَطْلًا مِنْ لَحْمي . وَفي هٰذا نِهايَةُ حَياتي بِالتَّأْكيدِ ، لِذٰلِكَ أَرْجُو أَنْ تَنْسى ما اقْتَرَضْتَهُ مِنّي . وَكُلُّ ما أَتَمَنّاهُ هُوَ أَنْ أَراكَ قَبْلَ مَوْتي . »

طَلَبَتْ بورْشِيا الكَريمةُ مِنْ بَسّانْيو أَنْ يَذْهَبَ إلى صَديقِهِ بَعْدَ أَنْ يَتَزَوَّجَها ، حَتّى يُمْكِنَهُ عِنْدَئِذٍ أَنْ يَأْخُذَ مالَها ، وَيُسَدِّدَ مِنْهُ دَيْنَ شَيْلوك ، وَلِهٰذا تَزَوَّجا ، وَبادَرَ بَسّانْيو بِالذَّهابِ إلى البُنْدُقِيَّةِ لَدى صَديقِهِ الحَميمِ أَنْطونْيو .

بَعْدَ رَحيلِ بَسّانْيو وَغراشْيانُو فَكَّرَتْ بورْشِيا في طَريقَةٍ لإنْقاذِ أَنْطونْيو . وَلِهٰذا قَرَّرَتْ أَنْ تَذْهَبَ إلى البُنْدُقِيَّةِ بِنَفْسِها .

وَكانَ لِبورْشِيا صَديقٌ طَيِّبٌ مِنَ القُضاةِ المَشْهورينَ ، فَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يُعيرَها مَلابِسَهُ ، وَأَوْراقَهُ الخاصَّةَ بِالقَضاءِ .

اِرْتَدَتْ مَلابِسَ القُضاةِ ، وَتَظاهَرَتْ بِأَنَّها قاضٍ ، وَأَلْبَسَتْ خادِمَتَها نِريسّا مَلابِسَ خادِمِ القاضي .

قالَتْ بورْشِيا لِنِريسّا : «سَأَتَصَرَّفُ مِثْلَ شابٍّ حَديثِ السِّنِّ ، وَسَأَتَحَدَّثُ بِصَوْتٍ يَجْمَعُ بَيْنَ صَوْتِ الرِّجالِ وَالأَوْلادِ ، وَسَأُحاوِلُ أَنْ أَمْشِيَ كَالرِّجالِ . » ثُمَّ انْطَلَقا مَعًا إلى مَدينَةِ البُنْدُقِيَّةِ .

أَنْطُونْيُو في خَطَرٍ

كانَ شَيْلُوك غاضِبًا أَشَدَّ ٱلغَضَبِ مِنْ أَنْطُونْيُو ، لِأَنَّ أَحَدَ أَصْدِقاءِ أَنْطُونْيُو هَرَبَ مَعَ ابْنَةِ شَيْلُوك ٱلجَميلَةِ لِيَتَزَوَّجا .. فَقَدْ كانَ كُلٌّ مِنْهُما يُحِبُّ ٱلآخَرَ . وَأَخَذا مَعَهُما أَيْضًا بَعْضَ أَمْوالِ شَيْلُوك ، وَجَواهِرِهِ .

أَغْضَبَ هٰذا التَّصَرُّفُ شَيْلُوك ، وَجَعَلَهُ يَجْري كَٱلمَجْنونِ في شَوارِعِ ٱلبُنْدُقِيَّةِ ، وَيَصيحُ أَمامَ كُلِّ مَنْ يُصادِفُهُ ، وَيَحْكي ما بَدَرَ مِنِ ابْنَتِهِ ، وَعَنِ ٱلمالِ الَّذي أَخَذَتْهُ . وَلِهٰذا سارَ وَراءَهُ كُلُّ الصِّبْيَةِ في ٱلمَدينَةِ يَضْحَكونَ عَلَيْهِ ، وَيَصيحُونَ : «مُجَوْهَراتُهُ ، وَابْنَتُهُ ، وَمالُهُ !»

عِنْدَما سَمِعَ شَيْلُوك ٱلغاضِبُ أَنَّ أَنْطُونْيُو فَقَدَ سُفُنَهُ في ٱلبَحْرِ ، فَرِحَ فَرَحًا غامِرًا ، وَأَدْرَكَ أَنَّهُ يَسْتَطيعُ آنَذاكَ أَنْ يَقْتُلَهُ . وَلِذٰلِكَ عِنْدَما طَلَبَ أَنْطُونْيُو مِنْ شَيْلُوك أَنْ يَمْنَحَهُ مُهْلَةً لِدَفْعِ الدَّيْنِ رَفَضَ . كَما رَفَضَ أَنْ يَسْتَمِعَ إِلَيْهِ ، وَقالَ لِلرَّجُلِ الَّذي اقْتادَ أَنْطُونْيُو إِلى السِّجْنِ : «راقِبْهُ جَيِّدًا ؛ وَلا تَطْلُبْ مِنّي أَنْ أَعْفُوَ عَنْهُ ؛ وَلا تُحَدِّثْني عَنِ الرَّحْمَةِ وَٱلمَغْفِرَةِ ؛ فَلَنْ أَرْحَمَهُ ، وَسَأَقْتَطِعُ مِنْهُ رَطْلَ ٱللَّحْمِ .»

قالَ أَحَدُ أَصْدِقاءِ أَنْطُونْيُو : «لَعَلَّ دُوقَ ٱلبُنْدُقِيَّةِ يَسْتَطيعُ أَنْ يُوقِفَ شَيْلُوك عِنْدَ حَدِّهِ .»

لَمْ يَرْغَبْ أَنْطُونْيُو أَنْ يُغَيِّرَ الدُّوقُ ٱلقانُونَ ، وَقالَ : «لَنْ يَثِقَ ٱلغُرَباءُ في ٱلبُنْدُقِيَّةِ إِذا نَحْنُ غَيَّرْنا ٱلقانُونَ لِمَصْلَحَةِ فَرْدٍ واحِدٍ ، وَسَيُمَثِّلُ هٰذا خَطَرًا شَديدًا ، لِأَنَّ ٱلبُنْدُقِيَّةَ مَرْكَزٌ كَبيرٌ مِنْ مَراكِزِ التِّجارَةِ .»

وَلَمْ يَطْلُبْ أَنْطُونْيُو الشُّجاعُ مِنْ شَيْلُوك الرَّحْمةَ ، فَقَدْ كانَ يَعْرِفُ أَنَّهُ يَقْصِدُ قَتْلَهُ ؛ وَلِذٰلِكَ كانَ ما يُرِيدُهُ هُوَ أَنْ يَرى صَدِيقَهُ بَسّانْيُو مَرَّةً أُخْرى .

المَحْكَمةُ

أُقْتِيدَ أَنْطُونْيُو إلى ٱلمَحْكَمةِ وَبَدَأَتِ ٱلمُحاكَمةُ . قالَ دُوقُ ٱلبُنْدُقِيَّةِ لِشَيْلُوك : « كُنْ رَحِيمًا بِأَنْطُونْيُو . إنَّ ٱلجَمِيعَ يَعْتَقِدونَ أَنَّكَ تَتَظاهَرُ بِالشَّرِّ فَقَطْ ، وَلٰكِنَّكَ سَتَرْحَمُهُ في نِهايَةِ ٱلأَمْرِ . »

قالَ شَيْلُوك : « لَقَدْ وَعَدْتُ أَنْ آخُذَ رَطْلَ اللَّحْمِ . وَإِنْ لَمْ تُمَكِّنِّي مِنْ ذٰلِكَ فَسَيَكونُ هٰذا أَمْرًا سَيِّئًا بِالنِّسْبةِ لِلْبُنْدُقِيَّةِ ، وَلَنْ يَثِقَ أَحَدٌ بِقَوانِينِكُمْ ، وَسَتَفْقِدُ ٱلبُنْدُقِيَّةُ عَظَمَتَها ... إنَّ أَنْطُونْيُو عَدُوِّي ، وَأَنا أَكْرَهُهُ . »

قالَ بَسّانْيُو : « هَلْ يَقْتُلُ ٱلإِنْسانُ كُلَّ مَنْ لا يُحِبُّهُ ؟! »

عِنْدَئِذٍ قالَ أَنْطُونْيُو : « مِنَ ٱلعَبَثِ أَنْ تُحاوِلُوا التَّفاهُمَ مَعَ شَيْلُوك ، فَلا تَنْتَظِرُوا أَكْثَرَ مِنْ هٰذا ، وَأَصْدِروا ٱلحُكْمَ عَلَيَّ ، وَأَعْطُوهُ ما يُرِيدُ . »

قالَ بَسّانْيُو : « سَأُعْطِيكَ سِتَّةَ آلافِ دُوكَات في مُقابِلِ الثَّلاثةِ آلافِ ٱلَّتي اقْتَرَضَها أَنْطُونْيُو . »

قالَ شَيْلُوك : « لَوْ عَرَضْتَ عَلَيَّ سِتَّةَ أَضْعافِ ٱلمَبْلَغِ ٱلَّذي عَرَضْتَهُ ٱلآنَ ، فَإِنَّني سَأَظَلُّ أَطْلُبُ رَطْلَ اللَّحْمِ – فَلْتُعْطِني رَطْلَ اللَّحْمِ . » .

سَأَلَ الدُّوقُ شَيْلُوك : « كَيْفَ تَأْمُلُ في الرَّحْمةِ ، وَأَنْتَ لا تُظْهِرُ أَيَّ رَحْمةٍ ؟! »

أَجابَهُ شَيْلُوك : «إِنَّني لَمْ أَرْتَكِبْ خَطَأً ، وَلا أَخافُ مِنَ ٱلمَحْكَمَةِ . أَعْطِني رَطْلَ اللَّحْمِ . »

بُورْشِيا في ٱلمَحْكَمَةِ

بَيْنَما انْتابَتِ ٱلحَيْرَةُ دُوقَ ٱلبُنْدُقِيَّةِ فِيما يَفْعَلُ ، وَصَلَ خادِمٌ وَمَعَهُ رِسالَةٌ ، وَكانَتْ هٰذِهِ الرِّسالَةُ مِنَ ٱلقاضي ٱلمَشْهورِ ٱلَّذي زارَتْهُ بُورْشِيا . لَمْ يَكُنِ ٱلخادِمُ سِوى نِرِيسّا مُرْتَدِيَةً مَلابِسَ شابٍّ صَغيرٍ .

وَبَيْنَما كانَ الدُّوقُ يَتَحَدَّثُ مَعَ نِرِيسّا ، بَدَأَ شَيْلُوك يَسْتَعِدُّ لِقَطْعِ رَطْلِ اللَّحْمِ مِنْ جَسَدِ أَنْطُونْيُو .

عِنْدَئِذٍ قُرِئَتِ الرِّسالَةُ لِيَسْمَعَها كُلُّ مَنْ في ٱلمَحْكَمَةِ :

« لَقَدْ أَصابَني مَرَضٌ شَديدٌ . وَعِنْدَما وَصَلَني خِطابُكَ ، كانَ عِنْدي عالِمٌ شابٌّ مِنْ مَدينَةِ رُوما ، يُدْعى بَلْثاذار . وَقَدْ أَخْبَرْتُهُ عَنِ النِّزاعِ بَيْنَ شَيْلُوك وَأَنْطُونْيُو ، وَتَدارَسْنا ٱلكَثيرَ مِنْ كُتُبِ ٱلقانونِ ، وَهُوَ يَعْرِفُ ما سَأَقُولُهُ في هٰذِهِ ٱلقَضِيَّةِ . وَإِنَّني أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَجْعَلَهُ يَأْخُذُ مَكاني في كُرْسِيِّ ٱلقَضاءِ ، وَيُصْدِرُ حُكْمَهُ . إِنَّهُ في مُقْتَبَلِ ٱلعُمْرِ ، وَلٰكِنَّني لَمْ أَعْرِفْ أَبَدًا شابًّا في مِثْلِ هٰذِهِ السِّنِّ الصَّغيرةِ ، وَلَهُ عَقْلٌ مِثْلُ عَقْلِهِ الرَّاجِحِ . »

وَبَعْدَ قِراءَةِ ٱلخِطابِ في ٱلمَحْكَمَةِ ، دَخَلَتْ بُورْشِيا ٱلقاعَةَ ٱلكَبيرَةَ ، مُرْتَدِيَةً مَلابِسَ ٱلقُضاةِ ، وَكانَتْ تَبْدو وَكَأَنَّها قاضٍ حَقيقِيٌّ ، لِدَرَجَةِ أَنَّ بَسّانْيُو لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَيْها .

أخَذَتْ مَكانَها عَلى مِنَصَّةِ ٱلقاضي ، وَسَأَلَتْ : « هَلْ أَنْتَ أَنطُونْيُو ؟ أَهٰذا هُوَ ٱلعَقْدُ ٱلَّذي بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَيْلُوك ؟ »

أَجابَ أَنْطُونْيُو : « نَعَمْ . »

فَقالَتْ : « يَجِبُ أَنْ يَكونَ شَيْلُوك رَحيمًا ! يَجِبُ أَنْ يَكونَ رَحيمًا بِأَنْطُونْيُو ! »

عِنْدَئِذٍ ، قالَ شَيْلُوك : « لِماذا أَرْحَمُهُ ؟ أَخْبِرْني ! »

أَجابَتْ بُورْشِيا : « إِنَّ الرَّحْمَةَ كَالنَّدَى يَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّماءِ إلى ٱلأَرْضِ . إِنَّها بَرَكَةٌ لِمَنْ يَمْنَحُها ، وَلِمَنْ يَنالُها . إِنَّ ٱللهَ رَحيمٌ بِنا : وَكُلُّنا نَدْعو اللهَ أَنْ يُسْبِغَ عَلَيْنا رَحْمَتَهُ وَٱلرَّحْمةَ في أَعْماقِ قُلوبِ ٱلمُلوكِ . وَلِذٰلِكَ يَجِبُ أَنْ نُظْهِرَ الرَّحْمةَ لِلْآخَرينَ . وَٱلآنَ ، أَمازِلْتَ تُريدُ هٰذا ٱلرَّطْلَ مِنَ ٱللَّحْمِ ؟ »

أَجابَ شَيْلُوك : « إِنَّني أَطْلُبُ ما هُوَ لي بِٱلقانونِ ! »

يا لَكَ مِنْ قاضٍ شابٍّ حَكيمٍ !

قالَ بَسّانْيُو : « إِنَّني أَعْرِضُ عَلَيْكَ عَشَرَةَ أَمْثالِ ٱلمَبْلَغِ ٱلَّذي اقْتَرَضَهُ أَنْطُونْيُو . وَأَرْجو أَنْ تُدْخِلَ تَعْديلًا يَسيرًا عَلى تَنْفيذِ ٱلقانونِ حَتَّى تُنْقِذَ أَنْطُونْيُو . »

قالَتْ بُورْشِيا : « إِنَّنا لا نَسْتَطيعُ تَغْييرَ ٱلقانونِ ، لِأَنَّنا إِنْ غَيَّرْنا قانونًا ، فَسَرْعانَ ما سَيَطْلُبُ ٱلآخَرونَ تَغْييرَ قَوانينَ أُخْرَى . »

عِنْدَئِذٍ ، صاحَ شَيْلُوك : « يا لَكَ مِنْ قاضٍ شابٌّ حَكِيمٍ ! »

قالَتْ بُورْشِيا : « دَعْني أَرَى هٰذا ٱلِاتِّفاقَ ، هٰذا ٱلوَعْدَ ٱلَّذي قَطَعَهُ أَنْطُونْيُو عَلى نَفْسِهِ . »

أَجابَ شَيْلُوك وَهوَ يُناوِلُها ٱلعَقْدَ : « ها هُوَ ذا . »

حِينَئِذٍ قالَتْ بُورْشِيا : « نَعَمْ ، إِنَّ ٱلقانونَ يَسْمَحُ لِشَيْلُوك بِأَنْ يَقْطَعَ رَطْلًا مِنْ لَحْمِ أَنْطُونْيُو مِنْ أَقْرَبِ جُزْءٍ .. مِنَ ٱلقَلْبِ . الرَّحْمةَ يا شَيْلُوك ! دَعْني أُمَزِّقُ هٰذِهِ ٱلوَرَقَةَ .. لا ! لا ! أَلا تُريدُني أَنْ أُمَزِّقَها ؟ وَٱلآنَ ، اسْتَعِدَّ يا أَنْطُونْيُو .. وَأَنْتَ يا شَيْلُوك ، خُذْ سِكِّينَكَ . »

وَصاحَ شَيْلُوك مَرَّةً أُخْرَى : « يا لَكَ مِنْ قاضٍ عالِمٍ ! يا لَكَ مِنْ شابٌّ حَكِيمٍ ! »

سَأَلَتْ بُورْشِيا شَيْلُوك : « هَلْ أَحْضَرْتَ شَيْئًا تَزِنُ بِهِ اللَّحْمَ ؟ »

أَجابَها : « نَعَمْ ، كُلُّ شَيْءٍ جاهِزٌ هُنا . »

سَأَلَتْهُ : « هَلْ أَحْضَرْتَ طَبيبًا ، لِيُوقِفَ نَزْفَ دَمِ أَنْطُونْيُو ؟ »

أَجابَ شَيْلُوك : « لَمْ يَتَضَمَّنِ اتِّفاقُنا شَيْئًا مِنْ هٰذا . »

سَأَلَتْ بُورْشِيا أَنْطُونْيُو : « أَتُريدُ أَنْ تَقولَ شَيْئًا ؟ »

أَجابَ أَنْطُونْيُو ٱلشُّجاعُ : « لَمْ يَعُدْ عِنْدي ما أَقولُهُ سِوَى ٱلوَداعِ

يا بَسّانْيُو ، وَلا تَحْزَنْ عَلَيَّ . أَخْبِرْ زَوْجَتَكَ عَنِّي ، وَعَنْ مَدَى حُبِّي لَكَ .. وَإِنْ قَطَّعَ شَيْلُوك بِسِكِّينِهِ في أَعْماقي ، فَسأُسَدِّدُ دَيْني لَهُ مِنْ أَعْماقِ قَلْبي . »

صاحَ بَسّانْيُو : « إِنَّني أُحِبُّكَ أَكْثَرَ مِنْ حَياتي ، وَأَكْثَرَ مِنْ زَوْجَتي ، وَأَكْثَرَ مِنَ ٱلعالَمِ كُلِّهِ ، وَإِنَّني عَلى اسْتِعْدادٍ لِأَنْ أَفْقِدَ كُلَّ شَيْءٍ لإِنْقاذِكَ . »

قالَتْ بُورْشِيا : « لَوْ كانَتْ زَوْجَتُكَ هُنا ، لَما أَحَبَّتْ سَماعَ ما قُلْتَهُ . »

بَعْدَ ذٰلِكَ ، تَحَدَّثَ غراشْيانُو – ٱلَّذي كانَ يُحِبُّ أَنْ يَحْذُوَ حَذْوَ بَسّانْيُو – فَقالَ : « إِنَّ لي زَوْجَةً أُحِبُّها حُبًّا عَميقًا ، وَلٰكِنَّني أَتَمَنَّى أَنْ تَصْعَدَ رُوحُها إِلى السَّماءِ ، لِتَتَوَسَّلَ إِلى ٱللهِ أَنْ يُعينَ أَنْطُونْيُو في مِحْنَتِهِ . »

إِبْتَسَمَتْ نِرِيسّا حِينَما سَمِعَتْ ما قالَهُ زَوْجُها غراشْيانُو ، وَقالَتْ : « مِنْ حُسْنِ حَظِّكَ أَنَّكَ تَتَمَنَّى هٰذِهِ ٱلأُمْنِيَّةَ في غِيابِها ، لِأَنَّها لَوْ كانَتْ حاضِرَةً ، لَسَبَّبَ لَكَ ذٰلِكَ ٱلمَتاعِبَ في ٱلبَيْتِ . »

مِنْ دُونِ نُقْطَةِ دَمٍ واحِدَةٍ

قالَ شَيْلُوك : « إِنَّنا نُضَيِّعُ ٱلوَقْتَ . »

قالَتْ بُورْشِيا : « خُذْ رَطْلَ اللَّحْمِ . فَٱلقانونُ يَسْمَحُ لَكَ بِهٰذا ، وَٱلمَحْكَمَةُ تُعْطيكَ هٰذا ٱلحَقَّ . »

وَبَيْنَما كانَ شَيْلُوك يَتَحَرَّكُ نَحْوَ أَنْطُونْيُو ، صاحَتْ بُورْشِيا : « إِنْتَظِرْ ! هُناكَ شَيْءٌ آخَرُ .. لَقَدْ وَعَدَ أَنْطُونْيُو بِإِعْطائِكَ رَطْلًا مِنْ لَحْمِهِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَعِدْ

بِإِعْطائِكَ نُقْطةَ دَمٍ واحِدةً ، فَإِنْ جَعَلْتَ دَمَهُ يَسيلُ ، فَستَفْقِـدَ كُلَّ أَرْضِكَ وَمالِكَ . »

فَصاحَ غراشْيانُو : « يا لَكَ مِنْ قاضٍ عالِمٍ ! يا لَكَ مِنْ شابٍّ حَكيمٍ ! »

سَأَلَ شَيْلُوك : « أَهٰذا هُوَ آلقانونُ ؟ »

أُجابَتْ بُورْشِيا : « سَتَرَى آلقانونَ . لَقَدْ أَرَدْتَ آلحُكْمَ ، وَستَنالُ أَكْثَرَ مِمَّا طَلَبْتَ . »

فَقالَ شَيْلُوك : « سَآخُذُ آلمالَ ، سآخُذُ ثَلاثَةَ أَمْثالِ ما اقْتَرَضَهُ أَنْطُونْيُـو مِنِّي . »

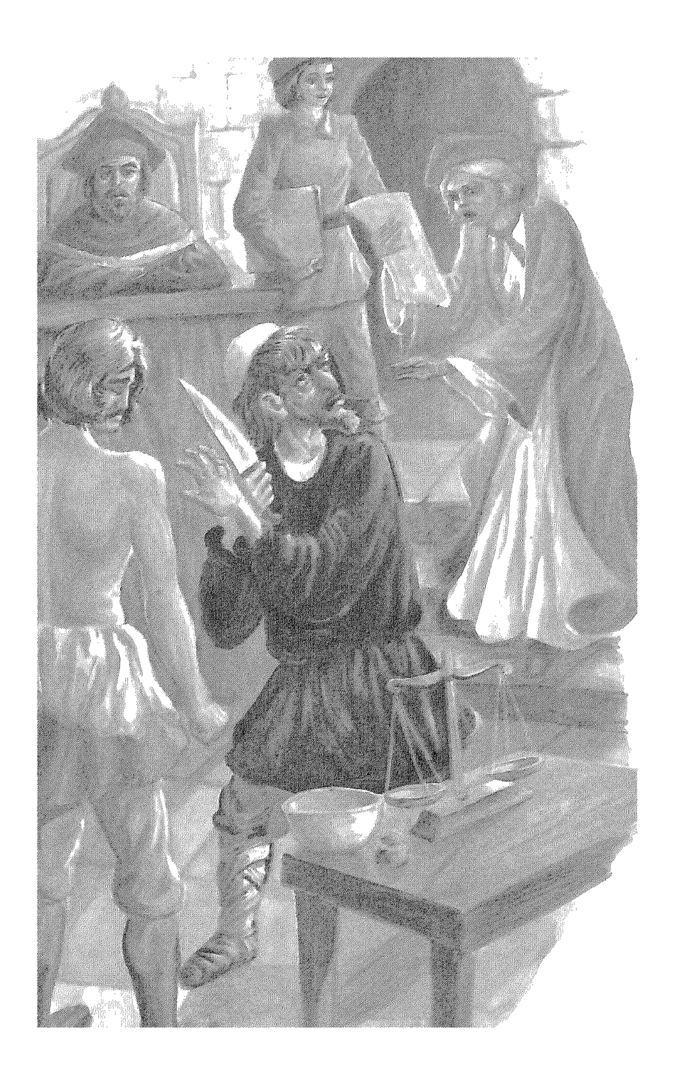
فَصاحَ بَسّانْيُو وَقَدْ غَمَرَهُ آلفَرَحُ : « ها هُوَ ذا آلمالُ . »

وَلٰـكِنَّ بُورْشِيا مَنَعَتْهُ ، قائِلةً : « اِنْتَظِرْ ! إِنَّ شَيْلُوك قَدْ رَفَضَ أَخْذَ آلمالِ في بِدايةِ آلمُحاكَمةِ ، وَلَمْ يَكُنْ يُريدُ سِوَى رَطْلٍ مِنَ اللَّحْـمِ . وَهٰـذا هُوَ كُلُّ ما يُمْكِنُ أَنْ يَأْخُذَهُ آلآنَ ، لا أَكْثَرَ وَلا أَقَلَّ .. رَطْلٌ واحِدٌ فَحَسْبُ مِنْ دُونِ نُقْطةِ دَمٍ واحِدةٍ . »

اِلْتَفَتَ شَيْلُوك ناحيةَ بابِ آلخُروجِ وَهَمَّ بِمُغادَرةِ قاعةِ آلمَحْكَمةِ .

أُطْلُبِ آلرَّحْمةَ

لَمْ تَكُنْ بُورْشِيا قَدِ انْتَهَتْ بَعْدُ مِنْ أَمْـرِ شَيْلُـوك ، فَصاحَتْ : « اِنْتَظِـرْ يا شَيْلُوك ! إِنَّ قانونَ مَدينةِ آلبُنْدُقيَّةِ يَنُصُّ عَلى أَنَّهُ إِذا حاوَلَ أَحَدٌ أَنْ يَقْتُـلَ



مُواطِنًا ، فإنَّهُ يَفْقِدُ كُلَّ ما يَمْـلِكُ : فَنِصْفُ أَمْوالِـهِ وَمُمْتَلَكاتِـهِ لِلْمَدينـةِ ، وَٱلنِّصْفُ ٱلآخَرُ لِلشَّخْصِ ٱلَّذي حاوَلَ قَتْلَهُ . أَمَّا حَياتُكَ فَهِيَ ٱلآنَ بَيْنَ يَدَيْ دُوقِ ٱلبُنْدُقيَّةِ ، وَتَحْتَ رَحْمَتِهِ ، فَارْكَعْ عَلى رُكْبَتَيْكَ ، وَاطْلُبِ ٱلرَّحْمةَ . »

قالَ ٱلدُّوقُ ٱلعَظيمُ : « إِنَّني لَنْ أَقْتُلَكَ . وَلٰـكِنْ صارَتْ نِصْفُ أَمْوالِكَ ٱلآنَ مِلْكًا لِأَنْطونْيُو ، وَيَجِبُ أَنْ تُعْطِيَ مَدينةَ ٱلبُنْدُقيَّةِ النِّصْفَ ٱلآخَرَ . »

صاحَ شَيْلُوك : « خُذْ حَياتي أَيْضًا . فَإِنَّ مالي ، وَمُمْتَلَكاتي عَزيزةٌ لَدَيَّ ، مِثْلُ حَياتي نَفْسِها . فَإِنْ أَخَذْتَ ما أَمْلِكُ ، فَإِنَّكَ تَكونُ بِذٰلِكَ قَدْ أَخَـذْتَ حَياتي . »

قالَ أَنْطُونْيُو : « يُسْعِدُني أَنْ أَتَنازَلَ عَنْ نَصيبي في مالِ شَيْلُوك ، وَلٰـكِنْ عَلَيْهِ أَنْ يَعِدَ بِأَنْ يَتْرُكَ مالَهُ لِابْنَتِهِ وَلِزَوْجِها عِنْدَ مَوْتِهِ . »

وَعَدَ شَيْلُوك بِأَنْ يَفْعَلَ ذٰلِكَ ، وَقالَ : « دَعُوني لِأَعودَ إِلى بَيْتي ، فَإِنَّني أَشْعُرُ بِأَنَّني لَسْتُ عَلى ما يُرامُ . »

عِنْدَئِذٍ ، أَطْلَقَ الدُّوقُ سَراحَ أَنْطُونْيُو ، وَشَكَرَ لبُورْشِيا كُلَّ ما قامَتْ بِهِ ، وَطَلَبَ مِنْها أَنْ تَصْحَبَهُ لِتَتَناوَلَ مَعَهُ طَعامَ ٱلغَداءِ في بَيْتِهِ . وَلٰـكِنَّها اعْتَذَرَتْ بِسَبَبِ اضْطِرارِها لِلْعَوْدَةِ بِسُرْعةٍ إِلى بَيْتِها .

الخاتمـــــان

ظَلَّتْ بُورْشِيا وَحْدَها مَعَ أَنْطُونْيُو وَبَسّانْيُو ، وَكانا مُقَدِّرَيْنِ لَها جَميـلَ صُنْعِها .

قالَ بَسّانْيو لِبُورْشِيا : « أَوَدُّ لَوْ أَخَذْتَ ٱلثَّلاثَةَ آلافِ دوكات ٱلَّتي أَعْطاها لَنا شَيْلُوك . » وَلٰكِنَّ بُورْشِيا رَفَضَتْ أَنْ تَأْخُذَ أَيَّ شَيْءٍ .

فَقالَ بَسّانْيو : « يا سَيِّدي ٱلعَزيزَ ، أَرْجو أَنْ تَأْخُذَ شَيْئًا ، حَتَّى تَتَذَكَّرَنا . إِنَّنا نَعْلَمُ أَنَّكَ لا تُريدُ شَيْئًا ، وَلٰكِنَّنا نُريدُ أَنْ نُقَدِّمَ ما يُعَبِّرُ عَنْ شُكْرِنا لَكَ . »

تَظاهَرَتْ بُورْشِيا فَجْأَةً بِرُؤْيَةِ ٱلخاتَمِ ٱلجَميلِ ٱلَّذي في يَدِ بَسّانْيو – وَهُوَ ٱلخاتَمُ ٱلَّذي كانَتْ قَدْ أَعْطَتْهُ إِيّاهُ في بِلْمونْت – فَقالَتْ : « أَعْطِني خاتَمَكَ ، وَسَأَلْبَسُهُ حَتَّى أَتَذَكَّرَكَ دائِمًا . »

كانَ بَسّانْيو قَدْ وَعَدَ بُورْشِيا أَنْ يَلْبَسَ هٰذا ٱلخاتَمَ مَدَى ٱلحَياةِ ، فَقالَ : « إِنَّ هٰذا ٱلخاتَمَ أَرْخَصُ مِنْ أَنْ أُقَدِّمَهُ لَكَ هَدِيَّةً . »

قالَتْ بُورْشِيا : « لَنْ آخُذَ سِواهُ . »

فَقالَ لَها : « سَأُعْطيكَ أَجْمَلَ وَأَغْلَى خاتَمٍ في ٱلبُنْدُقِيَّةِ ، فَأَنا لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُعْطِيَكَ هٰذا ٱلخاتَمَ ، لِأَنَّ زَوْجَتي أَعْطَتْني إِيّاهُ ، وَقَدْ وَعَدْتُها أَلّا أَبيعَهُ ، أَوْ أُعْطِيَهُ أَيَّ شَخْصٍ ، أَوْ أَفْقِدَهُ أَبَدًا . »

قالَتْ بُورْشِيا وَقَدْ هَمَّتْ بِالرَّحيلِ غاضِبَةً : « لَوْ عَلِمَتْ زَوْجَتُكَ ما فَعَلْتُهُ لَكَ ، ما طَلَبَتْ مِنْكَ أَنْ تَحْتَفِظَ بِٱلخاتَمِ . »

قالَ لَهُ أَنْطُونْيو : « قَدِّمِ ٱلخاتَمَ لِلْقاضي ، فَإِنَّهُ جَديرٌ بِأَنْ يَأْخُذَ أَثْمَنَ مِنْهُ مُقابِلَ ما قامَ بِهِ مِنْ أَجْلِنا . »

عادَ بَسّانْيو يُفَكِّرُ في أَمْرِ ٱلخاتَمِ ، وَشَعَرَ بِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْ شُكْرِهِ

ٱلعَميقِ لِلْقاضي الشّابِّ ، وَعَرَفَ أَنَّ أَنْطونْيو كانَ عَلى حَقٍّ . وَفي النِّهايَةِ غَيَّرَ رَأْيَهُ ، وَأَعْطَى خادِمَهُ غراشْيانُو ٱلخاتَمَ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَلْحَقَ بِٱلقاضي وَيُعْطِيَهُ إِيّاهُ .

وَفي اللَّحْظَةِ ٱلَّتي أَعْطَى فيها بُورْشِيا ٱلخاتَمَ أَقْبَلَتْ نِرِيسّا ، وَكانَتِ السَّيِّدَتانِ ما زالَتا مُرْتَدِيَتَيْنِ مَلابِسَ الرِّجالِ ، وَلِهٰذا لَمْ يَعْرِفْ حَقيقَتَها .

وَكانَتْ نِرِيسّا قَدْ أَعْطَتْ غَراشْيانُو خاتَمًا كَذٰلِكَ في بِلْمونْت ، فَقالَتْ لِبُورْشِيا في هُدُوءٍ : « سَأَرَى ، إِنْ كانَ في مَقْدوري أَنْ أَحْصُلَ عَلى خاتَمِ زَوْجي أَمْ لا .. فَقَدْ وَعَدَني أَنْ يَحْتَفِظَ بِهِ إِلى ٱلأَبَدِ . »

غراشْيانُو وَنِرِيسّا

عادَتْ بُورْشِيا وَنِرِيسّا إِلى بِلْمونْت ، وَبَيْنَما هُما تَقْتَرِبانِ مِنَ ٱلمَنْزِلِ ، رَأَتْ بُورْشِيا ٱلمِصْباحَ الصَّغيرَ مُضاءً داخِلَ صالَةِ ٱلمَنْزِلِ ، فَقالَتْ : « ما أَوْسَعَ انْتِشارَ نورِ هٰذا ٱلمِصْباحِ الصَّغيرِ ! إِنَّهُ كَٱلعَمَلِ الطَّيِّبِ في عالَمٍ مُظْلِمٍ . »

عِنْدَما وَصَلَ بَسّانْيُو أَخَذَ أَنْطونْيُو إِلى بُورْشِيا وَأَخْبَرَها بِكُلِّ ما حَدَثَ . وَبَيْنَما كانَ الثَّلاثَةُ يَتَجاذَبونَ أَطْرافَ ٱلحَديثِ ، بَدَأَ غراشْيانُو وَنِرِيسّا يَتَشاجَرانِ .

سَأَلَتْهُما بُورْشِيا : « أَ شِجارٌ في ٱلحالِ ؟ ما ٱلخَبَرُ ؟ ! »

أَجابَ غراشْيانُو : « إِنَّهُ فَقَطْ بِسَبَبِ خاتَمٍ صَغيرٍ مُتَواضِعِ ٱلقيمَةِ أَعْطَتْنيهِ نِرِيسّا . »

حاوَلَ غراشْيانُو أَنْ يَبْتَسِمَ لِهٰذا ٱلأَمْرِ ، وَلٰكِنَّ نِرِيسّا تَظَاهَرَتْ بِأَنَّها مُسْتاءةٌ لِلْغايةِ . وَصاحَتْ قائِلةً : «لَقَدْ وَعَدْتَني أَنْ تَحْتَفِظَ بِٱلخاتَمِ في إصْبَعِكَ حَتَّى ٱلمَماتِ . »

فَقالَ غراشْيانُو : «لَقَدْ أَعْطَيْتُهُ شابًّا في طُولِ قامَتِكِ ، وَهُوَ خادِمُ ٱلقاضي ٱلحَكيمِ بَعْدَ أَنْ طَلَبَهُ مِنِّي . »

كانَتْ بُورْشِيا تَسْتَمْتِعُ بِذٰلِكَ ٱلمَوْقِفِ ، وَلٰكِنَّها لَمْ تَضْحَكْ ، وَقالَتْ بِكَلِماتٍ جادَّةٍ : «لَقَدْ أَخْطَأْتَ ، يا غراشْيانُو حينَ تَنازَلْتَ عَنْ هٰذا ٱلخاتَمِ . لَقَدْ وَعَدْتَها أَنْ تَلْبَسَهُ إلى ٱلأَبَدِ . وَقَدْ أَعْطَيْتُ – أَنا أَيْضًا – زَوْجي خاتَمًا ، وَلَنْ يَتَنازَلَ عَنْهُ في مُقابِلِ كُلِّ أَمْوالِ ٱلعالَمِ . »

النِّهايةُ السَّعيدةُ

قالَ غراشْيانُو : «إنَّ بَسّانْيُو قَدْ وَهَبَ خاتَمَهُ أَيْضًا لِلْقاضي الشّابِّ ٱلحَكيمِ ، وَبَعْدَ ذٰلِكَ رَغِبَ ٱلفَتَى – خادِمُ ٱلقاضي – أَنْ يَأْخُذَ خاتَمي . »

اِلْتَفَتَتْ بُورْشِيا إلى بَسّانْيُو وَقالَتْ : «لَقَدْ حَنَثْتَ بِوَعْدِكَ لي ، وَلَنْ أَمْنَحَكَ حُبّي حَتَّى أَرَى ٱلخاتَمَ مَرَّةً ثانيةً . »

قالَ بَسّانْيُو : «لَقَدْ أَعْطَيْتُ ٱلقاضي ٱلخاتَمَ بَعْدَ أَنْ رَفَضَ أَنْ يَأْخُذَ الثَّلاثةَ آلافِ دُوكَات ٱلَّتي عَرَضْتُها عَلَيْهِ عِنْدَما أَنْقَذَ حَياةَ أَعَزِّ أَصْدِقائي . ما كانَ في وُسْعي أَنْ أَفْعَلَ غَيْرَ هٰذا . »

قالَ أَنْطونْيُو : «أَتَوَسَّلُ إِلَيْكِ أَنْ تَصْفَحي عَنْهُ ، فَإِنَّني قَدْ غامَرْتُ بِنَفسي يَوْمًا حَتَّى يَتَمَكَّنَ بَسّانْيُو مِنْ أَنْ يَتَزَوَّجَكِ . وَلَوْ لَمْ يُنْقِذْني ٱلقاضي ، لَأَصْبَحْتُ ٱلآنَ في عِدادِ ٱلأَمْواتِ . أَعِدُكِ بِحَياتي أَنْ يَظَلَّ بَسّانْيُو دائِمًا زَوْجًا صالِحًا لَكِ . »

أَجابَتْ بُورْشِيا : «أَعْطِهِ هٰذا ٱلخاتَمَ ، وَاطْلُبْ مِنْهُ أَنْ يَحْتَفِظَ بِهِ ، بِصُورةٍ أَفْضَلَ مِنَ ٱلخاتَمِ ٱلآخَرِ . »

صاحَ بَسّانْيُو : «إِنَّهُ نَفْسُ ٱلخاتَمِ ٱلَّذي أَعْطَيْتُهُ لِلْقاضي الشّابِّ ٱلحَكيمِ . »

قالَتْ بُورْشِيا : «إِنَّني كُنْتُ ذٰلِكَ ٱلقاضِيَ الشّابَّ ، وَهاهُوَ ذا خادِمي ، ذٰلِكَ ٱلفَتَى الصَّغيرُ .. لَقَدْ كانَتْ نِرِيسّا خادِمي ! »

لَمْ يُصَدِّقْ بَسّانْيُو أَنَّ بُورْشِيا هِيَ ٱلَّتي حَكَمَتْ في ٱلقَضِيَّةِ بِتِلْكَ ٱلمَهارةِ . وَلَمْ يَكُنْ هٰذا كُلَّ شَيْءٍ ، فَقَدْ أَعْطَتْ بُورْشِيا أَنْطونْيُو رِسالةً تَتَضَمَّنُ أَنْباءً عَنْ عَوْدةِ ثَلاثٍ مِنْ سُفُنِهِ إِلى ٱلبُنْدُقِيَّةِ سالِمةً .

عِنْدَئِذٍ قالَتْ بُورْشِيا : «تَعالَوا ! إِنَّ النَّهارَ عَلى ٱلأَبْوابِ ، وَإِنَّني مُتَأَكِّدَةٌ أَنَّنا جَميعًا لَدَيْنا أَسْئِلةٌ كَثيرةٌ أُخْرَى نُريدُ أَنْ نَطْرَحَها وَنَعْرِفَ إِجاباتِها . دَعُونا نَدْخُلُ ٱلبَيْتَ ، وَنُجيبُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ بِالتَّفْصيلِ . »

قالَ غراشْيانُو : «لِيَكُنْ هٰذا ! » ثُمَّ وَجَّهَ حَديثَهُ إِلى نِرِيسّا مُداعِبًا : «تَعالَ أَيُّها ٱلخادِمُ الصَّغيرُ ، خادِمُ ٱلقاضي ٱلحَكيمِ . » ثُمَّ سَأَلَها : «أَمْ تُفَضِّلينَ أَنْ أُناديَكِ بِزَوْجَتي ؟ »

حُلْمُ لَيْلَةِ صَيْفٍ

تَزَوَّجي دِيمِيتْرِيَس وَ إِلَّا ..

يُحْكَى أَنَّه كانَ في بِلادِ آليُونانِ ، في قَديمِ الزَّمانِ ، قانونٌ جَلَبَ التَّعاسةَ لِلفَتَياتِ . وكانَ يَنُصُّ عَلى أَنَّ مِنْ حَقِّ والِدِ آلفَتاةِ أَنْ يَخْتارَ أَيَّ رَجُلٍ لِلزَّواجِ بِابْنَتِهِ .

فَكانَ يَحْدُثُ أَحْيانًا أَلّا يَهْتَمَّ آلأَبُ بِشُعورِ ابْنَتِهِ ، وَرَغْبَتِها فيمَنِ اخْتارَهُ زَوْجًا لَها .

ذاتَ يَوْمٍ اصْطَحَبَ رَجُلٌ عَجوزٌ ابْنَتَهُ آلجَميلةَ هِيرْمِيا إِلى دُوقِ أَثِينا ، أَكْبَرِ مُدُنِ آليُونانِ . وَكانَ الدُّوقُ رَجُلًا ذا قُوَّةٍ وَبَأْسٍ شَديدَيْنِ ، وَكانَ آلجَميعُ يَدينونَ لَهُ بِالطَّاعةِ وَآلوَلاءِ .

قالَ آلعَجوزُ لِلدُّوقِ : «لَقَدْ جِئْتُ لِأُحَدِّثَكَ عَنِ ابْنَتي هِيرْمِيا . » وَالْتَفَتَ وَأَشارَ إِلى شابَّيْنِ حَضَرا مَعَ هِيرْمِيا : أَحَدُهُما يُدْعى دِيمِيتْرِيَس ، وَآلآخَرُ يُدَعى لايْسانْدَر . ثُمَّ قالَ : «لَقَدْ أَمَرْتُ ابْنَتي أَنْ تَتَزَوَّجَ دِيمِيتْرِيَس ، لٰكِنَّها لاتُريدُ ذٰلِكَ ؛ لِأَنَّها تُحِبُّ لايْسانْدَر ، وَتُريدُ أَنْ تَتَزَوَّجَهُ . فَأَرْجو أَنْ تُخْبِرَها بِقانونِ أَثينا آلقَديمِ ، آلَّذي يَنُصُّ عَلى أَنَّها يَجِبُ أَنْ تَتَزَوَّجَ مَنْ أَخْتارُ . »

قالَ لَها الدُّوقُ : «يَنْبَغي أَنْ تَفْعَلي ما يُريدُهُ والِدُكِ .. فَدِيمِيتْرِيَس رَجُلٌ صالِحٌ . »

قالَتْ هِيرْمِيا : « وَكَذٰلِكَ لايْساندَر ، فَهُوَ رَجُلٌ صالِحٌ أَيْضًا . » ثُمَّ سأَلَتْ في حُزْنٍ : « ماذا يَحْدُثُ لي ، لَوْ لَمْ أَتَزَوَّجْ دِيمِيتْرِيَس ؟ »

أَجابَ الدُّوقُ : « سَتَمُوتِينَ ، أَوْ تَقْضينَ بَقِيَّةَ عُمْرِكِ بِدُونِ زَواجٍ ؛ فَتَعيشِينَ في أَحَدِ ٱلأَدْيِرةِ . إنَّ اللَّائِي يَعِشْنَ في ٱلأَدْيِرةِ طَيِّباتٌ صالِحاتٌ تَقِيَّاتٌ ، وَلٰكِنْ مَنْ تَتَزَوَّجُ وَتُنْجِبُ أَطْفالًا أَسْعَدُ حالًا . »

تَحَدَّثَ لايْساندَر إلى والِدِ هِيرْمِيا ، وَإلى الدُّوقِ قائِلًا : « إنَّني رَجُلٌ صالِحٌ ، وَغَنِيٌّ مِثْلُ دِيمِيتْرِيَس ، كَما أَنَّني أُحِبُّ هِيرْمِيا ، وَهِيَ تُحِبُّني ، فَلِماذا لا أَتَزَوَّجُها ؟! »

لٰكِنَّ لايْساندَر لاحَظَ أَنَّ الدُّوقَ لَمْ يَتَأَثَّرْ كَثِيرًا بِكَلِماتِهِ ، فَأَضافَ : « هُناكَ أَمْرٌ آخَرُ أَيْضًا ، وَهُوَ أَنَّ دِيمِيتْرِيَس كانَ يُحِبُّ هِيلِينا صَدِيقةَ هِيرْمِيا ، وَهِيَ تُحِبُّهُ أَيْضًا .. فَلْيَتَزَوَّجْ دِيمِيتْرِيَس هِيلِينا . »

كانَ الدُّوقُ شَديدَ ٱلبَأْسِ ، عَطوفًا لِلْغايَةِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِاسْتِطاعَتِهِ أَنْ يُغَيِّرَ قَوانِينَ أَثِينا .. فَقالَ لِهِيرْمِيا : « يَجِبُ عَلَيْكِ أَنْ تَمْتَثِلي لِما يَقولُهُ أَبُوكِ . فَكِّري مَلِيًّا في هٰذا ٱلأَمْرِ . وَفي خِلالِ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ يَنْبَغي أَنْ تَتَزَوَّجي دِيمِيتْرِيَس ، وَإلَّا نُفِّذَ فِيكِ ٱلقانُونُ – كَما ذَكَرْتُ . »

هِيلِينــــا

حِينَ انْفَرَدَ لايْساندَر وَهِيرْمِيا بِبَعْضِهِما – فِيما بَعْدُ – قالَ لَها : « هَيَّا بِنا نَهْرُبْ مِنْ أَثِينا ، وَنَتَزَوَّجْ . غادِري مَنْزِلَ أَبيكِ مَساءَ ٱلغَدِ ، وَسَأَلْتَقي بِكِ في



ٱلغابةِ خارِجَ أثينا .»

قالَتْ هِيرْمِيا : «سَأُقابِلُكَ هُناكَ . إنّي أَعِدُكَ بِذٰلِكَ !»

قالَ لايْسانْدَر : «حافِظي عَلى وَعْدِكِ يا عَزيزَتي هِيرْمِيا . أُنْظُري ، أُنْظُري ! هَاهِيَ ذِي هِيلِينا قادِمَةٌ !»

صاحَتْ هِيرْمِيا : «ماذا يا هِيلِينا ٱلجَميلَةُ ! أَيْنَ أَنْتِ ذاهِبَةٌ ؟»

قالَتْ هِيلِينا : «لا تُنادِيني بِٱلجَميلةِ ، فَإنَّ دِيمِيتْرِيَس يُحِبُّكِ أَنْتِ .. إنَّهُ يَعْشَقُ عَيْنَيْكِ ، وَصَوْتَكِ ، وَكُلَّ ما فيكِ . آهٍ يا هِيرْمِيا .. عَلِّميني كَيْفَ تُظْهِرينَ جَمالَكِ ، وَكَيْفَ تَتَحَدَّثينَ ، حَتّى أَسْتَطيعَ أَنْ أَفوزَ بِحُبِّهِ !»

قالَتْ هِيرْمِيا : «إنَّني لا أُريدُ حُبَّ دِيمِيتْرِيَس ، وَلٰكِنْ كُلَّما كَرِهْتُهُ ، ازْداد حُبًّا لي وَتَعَلُّقًا بي .»

قالَتْ هِيلِينا : «وَأَنا ، كُلَّما أَحْبَبْتُهُ كَرِهَني !»

قالَتْ هِيرْمِيا : «لا تَبْتَئِسي ، فَلَنْ يَرى وَجْهي بَعْدَ ٱلآنَ . فَغَدًا سَأُغادِرُ أَنا وَلايْسانْدَر أَثينا ، وَسَنَلْتَقي في تِلْكَ ٱلغابةِ ، ٱلَّتي كُنّا أَنا وَأَنْتِ نَلْعَبُ فِيها ، وَمِنْ هُناكَ سَنَذْهَبُ إلى أَيِّ مَكانٍ آخَرَ ، نَجِدُ فِيهِ أَصْدِقاءَ جُدُدًا .. وَعِنْدَئِذٍ آمُلُ أَنْ يَكونَ دِيمِيتْرِيَس لَكِ .»

عِنْدَما ٱخْتَلَتْ هِيلِينا بِنَفْسِها أَخَذَتْ تُفَكِّرُ في هِيرْمِيا وَلايْسانْدَر ، وَقالَتْ في نَفْسِها : «إنَّ دِيمِيتْرِيَس لا يُحِبُّني ، لِأَنَّهُ يُحِبُّ هِيرْمِيا ، وَلِهٰذا سَأَذْهَبُ لِأُخْبِرَهُ بِخُطَّتِهِما .. وَحِينَئِذٍ يُمْكِنُهُ أَنْ يَلْحَقَ بِهِيرْمِيا ، إنَّهُ لايُحِبُّني .. لٰكِنَّهُ

سَيَشْكُرُني – عَلى ٱلأَقَلِّ – لِأَنَّني أَبْلَغْتُهُ بِٱلأَمْرِ ، وَسَيُمْكِنُني أَنْ أَذْهَبَ إِلى ٱلغابَةِ وَأُعودَ مَعَهُ . »

تايْتانْيا وَأُوبيرُون

في ٱللَّيْلَةِ ٱلتَّالِيَةِ ، كانَ هُنالِكَ في ٱلغابَةِ جَمْعٌ كَبيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ ، حَيْثُ رَتَّبَ لايْسانْدَر لِقاءَهُ مَعَ هيرْمِيا . لٰكِنَّ هٰذا ٱلجَمْعَ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَفْرادٍ عادِيِّينَ ، بَلْ كانَ مِنَ ٱلحُورِيَّاتِ ، وَمَعَهُمْ أُوبِيرُون ٱلمَلِكُ وَتايْتانْيا ٱلمَلِكَةُ ، يَقُومانِ بِرَقَصاتِ ٱلمَساءِ في ٱلغابَةِ .

لٰكِنَّ شِجارًا نَشِبَ بَيْنَ ٱلمَلِكِ وَٱلمَلِكَةِ – قَبْلَ ذٰلِكَ بِقَليلٍ – فَقَدْ كانَ عِنْدَ تايْتانْيا صَبِيٌّ صَغيرٌ يَخْدُمُها ، وَلَمْ تَكُنْ تُريدُ أَنْ تَتْرُكَ هٰذا ٱلصَّبِيَّ ٱلصَّغيرَ لِأُوبِيرُون .. وَلِهٰذا غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَكانَ كُلَّما ٱلْتَقى بِتايْتانْيا في ٱلغابَةِ كُلَّ مَساءٍ تَشاجَرَ مَعَها .. وَحِينَئِذٍ يَنْتابُ ٱلخَوْفُ جَميعَ ٱلحُورِيَّاتِ ٱلأُخْرَياتِ وَيَخْتَبِئْنَ داخِلَ الزُّهورِ . وَفي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ كانَتْ تايْتانْيا تَمْشي في ٱلغابَةِ مَعَ جَميعِ خادِماتِها مِنَ ٱلحُورِيَّاتِ ، وَعِنْدَما ٱلْتَقَتْ بِأُوبِيرُون قالَ لَها : « يا لَهُ مِنْ لِقاءٍ سَيِّئٍ في لَيْلَةٍ جَميلَةٍ . »

فَصاحَتْ تايْتانْيا : « أَهُوَ أَنْتَ ؟ أَيَّتُها ٱلحُورِيَّاتُ ، اُهْرُبْنَ سَريعًا ! إِنَّني لا أُريدُ أَنْ أَبْقى مَعَ أُوبِيرُون . »

قالَ أُوبِيرُون : « إِنْتَظِري ! إِنَّني سَيِّدُكِ ، فَلِماذا تَتَشاجَرينَ مَعي ؟ إِنَّني أَطْلُبُ مِنْكِ طَلَبًا واحِدًا ، هُوَ أَنْ تَتْرُكي لي هٰذا الصَّبِيَّ الصَّغيرَ . »

قالَتْ : «لا تَطْلُبْهُ مِنّي بَعْدَ ٱلآنَ ! إنَّ كُلَّ أَمْوالِ ٱلحُورِيّات لا تَكْفيني لِأَتْرُكَ هٰـذا الصَّبيَّ . فَإنَّ أُمَّهُ قَدْ ماتَتْ ، وَكانَتْ إحْـدى خادِماتـي لمُفَضَّلاتِ . هَيّا بِنا أَيَّتُها ٱلحُورِيّاتُ ، فَسَيَتَمَلَّكُنا ٱلغَضَبُ إنْ بَقِينا . »

وَكانَتْ تايْتانْيا وَٱلحُورِيّاتُ يَرْقُصْنَ – وَهُنَّ يَبْتَعِدْنَ – تَحْتَ ضَوْءِ ٱلقَمَرِ السّاطِعِ .

وَصاحَ أُوبِيرُون : «حَسَنًا ، فَلْتَذْهَبِي ! وَلٰـكِنْ قَبْلَ أَنْ تُغادِري هٰـذِهِ ٱلغابَةَ سَأَجْعَلُكِ تَنْدَمينَ عَلى ماقُلْتِهِ . »

بَـــكْ

عِنْدَئِذٍ اسْتَدْعى أُوبِيرُون رَئِيسَ خَدَمِهِ بَكْ ، ٱلَّذي كانَ يَسْتَطيعُ أَنْ يَطيرَ إلى أَيِّ مَكانٍ بِسُرْعَةٍ كَبيرةٍ . وَكانَ يُحِبُّ أَنْ يُعَكِّرَ صَفْوَ ٱلنّاسِ ، أَوْ يَجْعَلَ ٱلآخَرِينَ يَضْحَكونَ عَلَيْهِمْ . فَقَدْ كانَ يَتَقَدَّمُ ٱلمُسافِرينَ لَيْلًا ، وَيَقُودُهُمْ إلى أَماكِنَ غَريبةٍ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ يَضْحَكُ عَلى مايَقَعونَ فِيهِ مِنْ مَتاعِبَ .

كانَ أَحْيانًا يَتَحَوَّلُ إلى تُفّاحةٍ بَرِّيَّةٍ ، وَيَخْتَبِئُ في كُوبِ سَيِّدةٍ عَجوزٍ تُثَرْثِرُ كَثيرًا . وَعِنْدَما تَرْفَعُ ٱلكُوبَ لِتَشْرَبَ ، يَسْكُبُ الشَّرابَ عَلى مَلابِسِها . وَبَيْنَما تَحْكي سَيِّدةٌ عَجوزٌ قِصَّةً حَزينةً لِأَصْدِقائِها ، كانَ يَدْفَعُ ٱلمَقْعَدَ مِنْ تَحْتِها بَعيدًا عَنْها ، فَتَقَعُ عَلى ٱلأَرْضِ ، وَيَضْحَكُ عَلَيْها ٱلجَميعُ .

صاحَ أُوبِيرُون : «تَعالَ هُنا يا بَكْ . أَحْضِرِ الزَّهْرَةَ ٱلَّتي تُسَمِّيها ٱلفَتَياتُ «زَهْرَةَ الثّالوثِ ٱلبَرِّيَّةَ» – تِلْكَ الزَّهْرَةَ ذاتَ الرَّحيقِ ، ٱلَّذي إنْ سَكَبْناهُ في عَيْنَي

إِنْسانٍ نائِمٍ ، وَقَعَ في حُبِّ أَوَّلِ شَخْصٍ أَوْ شَيْءٍ يَراهُ . أَحْضِرْ هٰذِهِ الزَّهْرَةَ بِأَقْصى سُرْعَةٍ . »

قَالَ بَكْ وَهُوَ يَطيرُ بَعيدًا : « سَأَدورُ حَوْلَ ٱلأَرْضِ في أَرْبَعينَ دَقيقَةً . »

قالَ أُوبيرُون : « سَأَسْكُبُ قَليلًا مِنْ رَحيقِ هٰذِهِ الزَّهْرَةِ في عَيْنَيْ تايْتانْيا وَهِيَ نائِمةٌ ، فَإِذا ما اسْتَيْقَظَتْ وَقَعَتْ في حُبِّ أَوَّلِ شَخْصٍ أَوْ شَيْءٍ تَراهُ ، حَتَّى وَلَوْ كانَ دُبًّا ، أَوْ أَيَّ حَيوانٍ آخَرَ . وَسَأَجْعَلُها تَتْرُكُ لِي ذٰلِكَ الصَّبِيَّ الصَّغيرَ ، قَبْلَ أَنْ أُزيلَ أَثَرَ السَّائِلِ السِّحْريِّ مِنْ عَيْنَيْها . »

هيلينا وَديميتْرِيَس

بَيْنَما كانَ بَكْ يَبْحَثُ عَنِ الزَّهْرَةِ السِّحْرِيَّةِ ، مَرَّ ديميتْرِيَس وَهيلينا عَبْرَ ٱلغابَةِ ، بِٱلقُرْبِ مِنْ أُوبيرُون .

كانَ ديميتْرِيَس – بِالطَّبْعِ – يَتَعَقَّبُ هيرْمِيا وَلايْسانْدَر ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُريدُ أَنْ تَذْهَبَ هيلينا مَعَهُ ، فَقالَ لَها : « لا تُلاحِقيني يا هيلينا ، فَأَنا لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُحِبَّكِ أَبَدًا . »

قالَتْ هيلينا : « وَلٰكِنِّي أُحِبُّكَ ، وَكُلُّ ما أَطْلُبُهُ هُوَ أَنْ تُعامِلَني مِثْلَما تُعامِلُ قِطَّتَكَ ، وَتَجْعَلَني أَتْبَعُكَ . »

كانَ أُوبيرُون يُراقِبُهُما ، وَلَمْ يَكُنْ بِاسْتِطاعَتِهِما أَنْ يُشاهِداهُ ، وَلٰكِنَّهُ كانَ يَرى وَيَسْمَعُ كُلَّ مايَقُومانِ بِهِ . وَقَدْ شَعَرَ بِٱلحُزْنِ حينَما سَمِعَ ديميتْرِيَس يَقولُ لِهيلينا إِنَّهُ لايُحِبُّها . وَاشْتَدَّ بِهِ ٱلحُزْنُ عِنْدَما سَمِعَ رَدَّ هيلينا الرَّقيقَ .

عادَ بَكْ بِسُرْعةٍ وَمَعَهُ الزَّهْرةُ السِّحْريَّةُ . فَأَخَذَ أُوبيرُون جُزْءًا مِنْها لِيَضَعَهُ في عَيْنَيْ تايْتانْيا . وَفي ٱلحالِ تَذَكَّرَ هِيلِينا ٱلمِسْكينةَ ؛ فَقَرَّرَ أَنْ يُساعِدَها .

قالَ أُوبيرُون يَأْمُرُ بَكْ : « خُذْ جُزْءًا مِنْ هٰـذِهِ الزَّهْرةِ ، وَابْحَثْ في ٱلغابَةِ بِعِنايَةٍ ، حَتَّى تَجِدَ فَتاةً حُلْوةً مِنْ أَثينا تُحِبُّ شابًّا لا يَشْعُرُ نَحْوَها بِأَيِّ حُبٍّ ، ثُمَّ ضَعْ قَليلًا مِنْ رَحيقِ هٰـذِهِ الزَّهْرةِ في عَيْنَيْهِ وَهُوَ نائِمٌ . وَلٰـكِنْ تَأَكَّدْ أَنَّ تِلْكَ ٱلفَتاةَ ٱلَّتي تُحِبُّهُ قَريبةٌ مِنْهُ . وَستَعْرِفُ الرَّجُلَ مِنَ ٱلمَلابِسِ ٱلَّتي يَرْتَديها . ثُمَّ قابِلْني هُنا قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ النَّهارُ . » وَطارَ بَكْ لِيُنَفِّذَ أَوامِرَ أُوبيرُون .

السَّائِلُ السِّحْريُّ

قالَ أُوبيرُون : « إِنَّني أَعْرِفُ ضِفَّةَ نَهْرٍ مُغَطَّاةً بِزُهورٍ عَطِرَةٍ ، وَهُناكَ تَنامُ تايْتانْيا . » وَوَجَدَها تُصْدِرُ أَوامِرَها لِلْخَدَمِ مِنَ الحُوريَّاتِ ، قَبْلَ أَنْ تَنامَ . وَكانَتْ تَقولُ : « أَوَّلًا ، غَنِّينَ لي حَتَّى أَنامَ ، ثُمَّ اذْهَبْنَ لِأَداءِ أَعْمالِكُنَّ . »

بَعْدَ أَنِ اسْتَغْرَقَتْ تايْتانْيا في النَّوْمِ ، انْطَلَقَتِ ٱلحُوريَّاتُ كَيْ يَقُمْنَ بِٱلأَعْمالِ ٱلَّتي أَمَرَتْهُنَّ مَلِكَتُهُنَّ بِأَدائِها . وَجاءَ أُوبيرُون ، وَسَكَبَ السَّائِلَ السِّحْريَّ في عَيْنَيْهـا ، وَصاحَ : « سَتَقَعيـنَ في حُبِّ أَوَّلِ شَيْءٍ تَقَـعُ عَلَيْـهِ عَيْنـاكِ حيـنَ تَسْتَيْقِظينَ . فَلْتَفْتَحي عَيْنَيْكِ عِنْدَما يَكونُ بِجوارِكِ شَيْءٌ قَبيحٌ . »

بُوتُم وَرَأْسُ ٱلحِمارِ

بَيْنَما أُوبيرُون يَسْكُبُ السَّائِلَ السِّحْريَّ في عَيْنَيْ تايْتانْيا ، كانَ بَكْ يَبْحَثُ في كُلِّ مَكانٍ عَنْ دِيمِيتْرِيَس . وَرَأَى في طَريقِهِ في ٱلغابَةِ ٱلكَبيرةِ بَعْضَ ٱلعُمَّالِ

ٱلبُسَطاءِ مِنْ أُثينا ، وَكانوا يَسْتَعِدُّونَ لِأَداءِ تَمْثيلِيَّةٍ يُقَدِّمونَها في حَفْلِ زَواجِ دُوقِ أُثينا .

ظَنَّ بَكْ أَنَّ هَؤُلاءِ ٱلمُمَثِّلينَ في غايَةِ ٱلحَماقَةِ ، وَأَنَّ أَكْثَرَهُمْ حَماقَةً شَخْصٌ يُدْعَى بُوتُم .

عِنْدَما تَرَكَ بُوتُم ٱلمُمَثِّلينَ ٱلآخَرينَ ، لَحِقَ بِهِ بَكْ ، وَحَوَّلَ رَأْسَهُ إلى رَأْسِ حِمارٍ . وَلَمْ يَكُنْ بُوتُم يَدْري أَنَّ شَكْلَ رَأْسِهِ قَدْ تَغَيَّرَ ، وَعادَ إلى أَصْدِقائِهِ في ٱلوَقْتِ الَّذي كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ في التَّمْثيلِيَّةِ .

عِنْدَما رَأَى ٱلعُمَّالُ ٱلآخَرونَ بُوتُم بِرَأْسِ حِمارٍ هَرَبوا .. فَتَساءَلَ بُوتُم في دَهْشَةٍ : « لِماذا هَرَبوا ؟ إِنَّهُمْ يُحاوِلونَ بَثَّ ٱلخَوْفِ في نَفْسي ، لٰكِنَّني لَسْتُ خائِفًا ! سَأُغَنِّي لِيَعْرِفوا أَنَّني لَسْتُ خائِفًا . » وَشَرَعَ يُغَنِّي بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ – بِصَوْتِ حِمارٍ !

كانَتْ تايْتانْيا نائِمَةً في مَكانٍ غَيْرِ بَعيدٍ ، فاسْتَيْقَظَتْ فَجْأَةً حينَما سَمِعَتِ الضَّجيجَ . وَفَتَحَتْ عَيْنَيْها ، وَمِنَ الطَّبيعيِّ أَنْ يَكونَ أَوَّلُ شَخْصٍ تَراهُ هُوَ بُوتُم .

بَدَأَ يَظْهَرُ تَأْثيرُ رَحيقِ الزَّهْرَةِ السِّحْرِيَّةِ ، إِذْ وَقَعَتْ تايْتانْيا في حُبِّ بُوتُم الضَّخْمِ ٱلقَبيحِ .

قالَتْ لَهُ : « أَيُّ جِنِّيٍّ جَميلٍ أَيْقَظَني مِنَ النَّوْمِ ؟! أَرْجو أَنْ تُغَنِّي ثانِيَةً ، فَإِنَّني أُحِبُّ أَنْ أَراكَ وَأَسْمَعَ صَوْتَكَ . » وَعاوَدَ بُوتُم ٱلغِناءَ ، وَأَخَذَ يَتَحَدَّثُ بِبَلاهَةٍ ، وَلٰكِنْ كانَ كُلُّ ما يَقولُهُ يَبْدو لِتايْتانْيا حِكَمًا .



قالَتْ لَهُ : «إنَّكَ حَكيمٌ ، بِقَدْرِ ما أنْتَ جَميلٌ .»

أجابَ بُوتُم : «لَوْ كُنْتُ حَكيمًا ، لَخَرَجْتُ مِنْ هٰذِهِ ٱلغابَةِ .»

صاحَتْ تايْتانْيا : «لا ! لا ! يَنْبَغي أنْ تَبْقَى هُنا ، فَأنا أُحِبُّكَ . تَعالَ مَعي ، وَسأُعْطيكَ حُوريَّاتٍ يَقُمْنَ عَلى خِدْمَتِكَ ، وَيُعْطينَكَ ٱلجَواهِرَ ، وَيُغَنِّينَ لَكَ .»

بُوتُم بَيْنَ ٱلحُوريَّاتِ

اسْتَدْعَتْ تايْتانْيا أرْبَعًا مِنْ خادِماتِها ٱلحُوريَّاتِ ، وَقالَتْ لَهُنَّ : «تَرَفَّقْنَ في

خِدْمَةِ هٰذا السَّيِّدِ ٱلوَسيمِ . اِرْقُصْنَ حَوْلَهُ ، وَالْعَبْنَ أمامَ ناظِرَيْهِ . أطْعِمْنَهُ فاكِهةً . وَقَدِّمْنَ لَهُ عَسَلَ النَّحْلِ .»

وَبِالرَّغْمِ مِنْ أنَّ تايْتانْيا كانَتْ غارِقَةً في حُبِّ بُوتُم ٱلأبْلَهِ ، إلَّا أنَّها سَئِمَتْ حَديثَهُ بِسُرْعةٍ ؛ فَأصْدَرَتْ أمْرَها إلى ٱلحُوريَّاتِ بِأنْ يُحْضِرْنَهُ إلى حَديقَةِ ٱلحُوريَّاتِ ، وَيَرْبُطْنَ لِسانَهُ .

شَعَرَ بُوتُم بِالزَّهْوِ ، وَأحَبَّ أنْ يَكونَ عِنْدَهُ خَدَمٌ مِنَ ٱلحُوريَّاتِ ، فَصاحَ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ : «أيْنَ پيز – بْلُوسُوم ؟»

فَأَجابَتْهُ : «إنِّي مُسْتَعِدَّةٌ لِتَلْبِيَةِ أَوامِرِكَ ؟»

فَقالَ يَأْمُرُها : «حُكِّي لي رَأْسي ، يا پيز – بْلُوسُوم .» ثُمَّ طَلَبَ حُورِيَّةً أُخرَى ، تُدْعَى كُوبْوِيب ، وَقالَ لَها : «أُرِيدُ قَليلًا مِنَ ٱلعَسَلِ .. عَسَلِ النَّحْلِ ٱلحُلْوِ .»

وَسَأَلَ : «أَيْنَ مَسْتَرْد – سِيْد ؟»

فَأَجابَتْهُ : «لَبَّيْكَ ! ماذا تُريدُ ؟»

أَجابَ بُوتُم : «لا شَيْءَ .» ثُمَّ أَخَذَ يُفَكِّرُ ثانِيةً ، وَقالَ : «ساعِديني يا پيزْ – بْلُوسُوم في حَكِّ رَأْسي . يَجِبُ أَنْ أَسْتَدْعِيَ مَنْ يَقُصُّ لي شَعْري ، فَإِنَّني أَعْتَقِدُ أَنَّ وَجْهي غَزيرُ الشَّعْرِ .»

سَأَلَتْهُ تايْتانْيا : «ماذا تُريدُ أَنْ تَأْكُلَ ياحَبيبيَ ٱلجَميلَ ؟»

أَجابَ بُوتُم : «أُريدُ بَعْضَ ٱلعُشْبِ ٱلجافِّ ، وَلٰكِنْ لا تَجْعَلي أَحَدًا يُوقِظُني ، فَإِنَّني أَظُنُّ أَنَّ النَّوْمَ يُداعِبُ جُفوني .»

فَقالَتْ تايْتانْيا : «نَمِ ٱلآنَ بَيْنَ ذِراعَيَّ ، فَإِنَّني مُتَيَّمةٌ بِكَ .»

هِيرْمِيا وَلايْسانْدَر

بَعْدَ أَنْ أَعْطَى بَكْ بُوتُم رَأْسَ حِمارٍ ، ذَهَبَ لِلْبَحْثِ عَنْ دِيمِيتْرِيَس ، وَفي النِّهايَةِ رَأَى شابًّا مِنْ أَثينا في ٱلغابَةِ . وَعَلى مَسافَةٍ غَيْرِ بَعيدَةٍ مِنْهُ ، كانَتْ تَنامُ فَتاةٌ جَميلَةٌ . فَقالَ : «لا بُدَّ أَنْ يَكونَ هٰذا هُوَ الشّابُّ الَّذي رَآهُ أُوبِيرُون .»

وَتَأَكَّدَ بَكْ أَنَّ ٱلفَتاةَ ٱلجَميلةَ كانَتْ قَريبةً جِدًّا مِنَ الشَّابِّ ، فَسَكَبَ قَليلًا مِنَ السَّائِلِ السِّحْريِّ في عَيْنَي الرَّجُلِ ،وَقالَ ضاحِكًا وَهُوَ يَطيرُ لِيُخْبِرَ أُوبيرُون بِما فَعَلَ : « سَيَراها حينَما يَسْتَيْقِظُ ، وَسَيَقَعُ في حُبِّها . »

وَلٰكِنَّ بَكْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ أَنَّ الشَّابَّ الَّذي رَآهُ هُوَ لايْسانْدَر ، وَلَيْسَ دِيمِيتْرِيَس .

كانَتِ ٱلفَتاةُ ٱلجَميلةُ النَّائِمَةُ – عَلى مَسافةٍ غَيْرِ بَعيدَةٍ مِنْهُ – هِيَ هِيرْمِيا . وَلَو اسْتَيْقَظَ لايْسانْدَر وَرَأى هِيرْمِيا ، لَسارَتِ ٱلأُمورُ عَلى خَيْرِ حالٍ ، وَلٰكِنَّ ذٰلِكَ لَمْ يَحْدُثْ .

لَقَدْ أَصابَ هِيلِينا التَّعَبُ مِنَ ٱلجَرْيِ وَراءَ دِيمِيتْرِيَس ، وَعَجَزَتْ عَنْ مُلاحَقَتِهِ ؛ فَأَخَذَتْ تَجوبُ ٱلغابَةَ في حُزْنٍ . وَسَرْعانَ ما وَصَلَتْ إِلى ٱلمَكانِ ٱلَّذي يَنامُ فيهِ لايْسانْدَر . وَعِنْدَما رَأَتْهُ ، تَساءَلَتْ إِذا كانَ نائِمًا أَمْ مَيِّتًا . وَلَمَّا لَمْ تَجِدْ أَيَّ دَمٍ أَوْ جُرْحٍ ، راحَتْ تُوقِظُهُ .

فَتَحَ عَيْنَيْهِ ، وَظَهَرَ أَثَرُ السَّائِلِ السِّحْريِّ .. فَقَدْ وَقَعَ في حُبِّ هِيلِينا .. فَقَدْ كانَتْ أَوَّلَ شَخْصٍ رَآهُ ؛ فَصاحَ : « هِيلِينا ! إِنَّكِ في غايةِ ٱلجَمالِ ! إِنَّني عَلى اسْتِعْدادٍ أَنْ أَخوضَ النِّيرانَ مِنْ أَجْلِكِ . أَتَمَنَّى لَوْ لَمْ أُحِبَّ هِيرْمِيا قَطُّ ، لِأَنَّني لا أُحِبُّ ٱلآنَ سِواكِ . فَإِنَّكِ أَجْمَلُ كَثيرًا مِنْها . لَقَدْ كانَ دِيمِيتْرِيَس قاسِيًا عَلَيْكِ ، وَلِذٰلِكَ سَأَقْتُلُهُ . »

قالَتْ هِيلِينا : « لا تَقُلْ هٰذا ، فَإِنَّ دِيمِيتْرِيَس يُحِبُّ هِيرْمِيا ، وَلٰكِنَّها تُحِبُّكَ أَنْتَ ، كَما أَنَّكَ تُحِبُّها . »

قالَ لايْساندَر : «لا ، إنَّني لا أُحِبُّها ، إنَّني لا أُحِبُّ هِيرْمِيا . إنَّني أُحِبُّكِ يا هِيلِينا .»

سَأَلَتْهُ هِيلِينا : «لِماذا تَقْسو عَلَيَّ بِهٰـذِهِ الصُّورَةِ ؟ لِماذا تَسْخَرُ مِنِّي ؟!»

ثُمَّ مَشَتْ في ٱلغابَةِ مَرَّةً أُخْرَى وَهِيَ حَزِينةٌ ، وَلٰـكِنَّ لايْساندَر لَمْ يَكُنْ يَتَظاهَرُ بِٱلحُبِّ ، فَقَدْ كانَ في ٱلحَقيقَةِ يُحِبُّها في ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ ؛ وَلِـذٰلِكَ تَرَكَ هِيرْمِيا وَحيدةً في ٱلغابَةِ وَجَرَى وَراءَ هِيلِينا .

وَبَعْدَ أَنْ تَرَكَ لايْساندَر هِيرْمِيا . اسْتَيْقَظَتْ هِيَ في ٱلحالِ ، وَصَرَخَتْ في خَوْفٍ بِسَبَبِ كابُوسٍ رَأَتْهُ وَهِيَ نائِمةٌ ، وَنادتْ عَلى لايْساندَر ، وَلٰـكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِٱلقُرْبِ مِنْها . لَقَدْ تَرَكَها وَحيدةً خائِفةً .

صاحَتْ : «أَيْنَ لايْساندَر ؟ لا بُدَّ أَنْ أَجِدَهُ .»

هِيرْمِيا وَدِيمِيتْرِيَس

انْطَلَقَتْ هِيرْمِيا تَبْحَثُ عَنْ لايْساندَر الَّذي أَحَبَّتْهُ دائِمًا ، وَلٰـكِنَّها الْتَقَتْ بِدِيمِيتْرِيَس فَصاحَتْ بِهِ غاضِبةً : «أَيْنَ لايْساندَر ؟»

قالَ : «لِماذا تَغْضَبينَ مِنِّي ، وَأَنا أُحِبُّكِ كُلَّ هٰـذا ٱلحُبِّ ؟»

أَجابَتْ : «إنَّني غاضِبةٌ ، لِأَنَّني أَعْتَقِدُ أَنَّكَ قَتَلْتَ لايْساندَر ، فَإنْ كُنْتَ قَدْ قَتَلْتَهُ ، فَلْتَقْتُلْني أَنا أَيْضًا ، أَوْ قُلْ لي : أَيْنَ هوَ ؟»

قالَ : «إنَّني لَمْ أَقْتُلْهُ .»



قالَتْ : « فَلْتَقُلْ لي : إنَّهُ ما زالَ حَيًّا .. وَعِنْدَئِذٍ ، سَأَنْصَرِفُ ، وَلَنْ تَراني مَرَّةً أُخْرَى . »

قالَ : « إنَّني لا أَعْرِفُ أَيْنَ هوَ . »

وَلَّتْ هِيرْمِيا ٱلأَدْبارَ ، فَقالَ دِيمِيتْرِيَس : « مِنَ ٱلعَبَثِ أَنْ أَلْحَقَ بِها ، وَهِيَ بِهٰذِهِ ٱلحالِ . سَأَبْقَى هُنا ، وَآخُذُ قِسْطًا مِنَ ٱلنَّوْمِ . »

كانَ أُوبيرُون وَ بَكْ يُراقِبانِ دِيمِيتْرِيَس وَ هِيرْمِيا ، وَيَسْتَمِعانِ إلى كُلِّ كَلِمَةٍ تَفَوَّهَا بِها .

قالَ أُوبيرُون لِبَكْ : « ماذا فَعَلْتَ ؟ لَقَدْ وَضَعْتَ السَّائِلَ في عَيْنَيْ رَجُلٍ آخَرَ ! وَلِذٰلِكَ سَأَقومُ أَنا بِوَضْعِ ٱلسَّائِلِ في عَيْنَيْ هٰذا الرَّجُلِ ، لِأَنَّهُ مِنَ ٱلواجِبِ أَنْ يَصْحوَ وَيُحِبَّ هِيلِينا . إذْهَبْ ! إذْهَبْ سَرِيعًا ، وَأَحْضِرْ هِيلِينا إلى هُنا قَبْلَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ . »

العُشَّاقُ ٱلأَرْبَعَةُ ٱلمُخْتَلِطونَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ

أَرْشَدَ بَكْ هِيلِينا إلى حَيْثُ يَنامُ دِيمِيتْرِيَس ، وَكانَ يَتْبَعُها لايْسانْدَر وَهُوَ يُحَدِّثُها عَنْ حُبِّهِ لَها .

قالَتْ هِيلِينا لِلايْسانْدَر : « لِماذا تَسْخَرُ مِنِّي ؟ »

قالَ : « إنَّني أُحِبُّكِ ! »

قالَتْ لَهُ : « قُلْ هٰذا ٱلكَلامَ لِهيرْمِيا ! »

أَيْقَظَ كلامُهُما دِيمِيتْرِيَس مِنْ نَوْمِهِ ، وَكانَت هِيلِينا أَوَّلَ فَتاةٍ تَقَعُ عَلَيْها عَيْناهُ ؛ فَأَحَبَّها .

صاحَ : « هِيلِينا ! إنَّ عَيْنَيْكِ مِثْلُ جَوْهَرَتَيْنِ ! دَعيني أُقَبِّلْكِ يا أَميرَتي ! »

قالَتْ : « إنَّني أَرى أَنَّ كُلًّا مِنْكُما يُريدُ السُّخْرِيَةَ مِنِّي ! فَلْتُبْدِيا آلكَراهِيَةَ الَّتي أَعْلَمُ أَنَّكُما تُكِنَّانِها لي ، وَلٰكِنْ ، لا تَجْتَمِعا عَلى إيذاءِ شُعوري . »

قالَ لايْسانْدَر : « إنَّكَ قاسٍ يا دِيمِيتْرِيَس .. إنَّكَ تُحِبُّ هِيرْمِيا ، وَأَنا أَعْلَمُ ذٰلِكَ . إنَّني أَتْرُكُ لَكَ هِيرْمِيا ، وَلٰكِنْ دَعْ هِيلِينا لي ، فَإنَّني أُحِبُّها ، وَسَأَظَلُّ أُحِبُّها حَتَّى أَموتَ . »

صاحَ دِيمِيتْرِيَس : « اِحْتَفِظْ بِهِيرْمِيا لِنَفْسِكَ يا لايْسانْدَر ، لِأَنَّ كُلَّ حُبِّي لَها قَدْ ذَهَبَ أَدْراجَ آلرِّياحِ . »

وَهٰكَذا صَرَّحَ كُلٌّ مِنْهُما لِهِيلِينا بِحُبِّهِ .

وَعِنْدَئِذٍ جاءَتْ هِيرْمِيا ، وَرَأَتْ لايْسانْدَر ، فَسَأَلَتْهُ : « لِماذا تَرَكْتَني بِمُفْرَدي في آلغابَةِ ؟ »

قالَ لَها : « لَقَدْ تَرَكْتُكِ لِأَنَّني أُحِبُّ هِيلِينا آلآنَ . »

سَأَلَتْ هِيلِينا هِيرْمِيا في غَضَبٍ : « لِماذا شارَكْتِ في هٰذِهِ آلسُّخْرِيَةِ مِنِّي ؟ إنَّها لَقَسْوَةٌ مِنْكِ أَنْ تَضْحَكي عَلَيَّ ! هَلْ نَسيتِ أَنَّنا كُنَّا صَديقَتَيْنِ في آلمَدْرَسةِ ؟ لَيْسَ مِنَ الصَّداقَةِ في شَيْءٍ أَنْ تَشْتَرِكي مَعَهُما في آلاسْتِهْزاءِ بي !



لَقَدْ طَلَبْتِ مِنْ لايْساندَر أَنْ يَتْبَعَني ، وَجَعَلْتِ دِيمِيتْرِيَس يُناديني بِٱلجَميلةِ . يَنْبَغي أَلَّا تَسْخَري مِنّي ! إِنَّكِ تَرَيْنَ كَمْ أَنا حَمْقاءُ ! وَلِهٰذا سَأَذْهَبُ إلى أَثينا ، وَلَنْ أَلْحَقَ بِكِ بَعْدَ ٱلآنَ ، وَسَأَتْرُكُ وَراءَ ظَهْري قَلْبِيَ ٱلأَحْمَقَ . »

هُنا صاحَ لايْسانْدَر : « إِنَّني أُحِبُّكِ يا هيلينا . »

صاحَ دِيمِيتْرِيَس : « إِنَّني أُحِبُّكِ أَكْثَرَ مِنْهُ . »

اِزْدادَ غَضَبُ كُلٍّ مِنْهُما مِنَ ٱلآخَرِ ، فانْتَقَلا إلى مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ ٱلغابةِ لِيَتَقاتَلا مِنْ أَجْلِ حُبِّ هيلينا .

أوبيرُون يُصْدِرُ أوامِرَهُ

غَضِبَ أُوبيرُون مِنْ بَكْ غَضَبًا شَديدًا ، وَسَأَلَهُ : «هَلْ حَدَثَ هٰـذا لِأَنَّكَ كُنْتَ مُهْمِلًا ، أَمْ لِأَنَّكَ قَصَدْتَ أَنْ تَضَعَ السَّائِلَ السِّحْرِيَّ في عَيْنَيِ الشَّخْصِ غَيْرِ ٱلمَقْصودِ ؟»

أَجابَ بَكْ : «صَدِّقْني أَيُّها ٱلمَلِكُ أُوبيرُون أَنَّ ذٰلِكَ حَدَثَ خَطَأً . فَقَدْ قُلْتَ إِنَّني سَأَعْرِفُ الرَّجُلَ مِنْ مَلابِسِهِ .» وَضَحِكَ قائِلًا : «وَلٰـكِنَّني مَسْرورٌ لِما حَدَثَ . فإِنَّنا نَلْهُو بِرُؤْيَتِهِمْ يَتَشاجَرونَ .»

قالَ أُوبيرُون : «لَقَدْ ذَهَبَ دِيمِيتْرِيَس وَلايْساندَر لِيَبْحَثا عَنْ مَكانٍ مُناسِبٍ لِلْمُبارَزَةِ . فَلْتُغَطِّ اللَّيْلَ بِسَحابَةٍ كَثيفَةٍ سَوْداءَ ، وَلْتُبْعِدْ كُلًّا مِنْهُما عَنِ ٱلآخَرِ ، وَعِنْدَما يُصيبُهُما التَّعَبُ ، سَيَرْقُدان وَيَنامانِ . ثُمَّ ضَعْ هٰـذا السَّائِلَ السِّحْرِيَّ في عَيْنَيْ لايْساندَر ، وَهٰـذا سَيَجْعَلُ حُبَّ هِيرْمِيا يَعودُ إِلَيْهِ ثانِيَةً حينَما يَسْتَيْقِظُ . وَحينَئِذٍ سَيُصْبِحُ ٱلجَميعُ سُعَداءَ ، وَسَيَظُنُّونَ أَنَّ هٰـذا كُلَّهُ كانَ مُجَرَّدَ حُلْمٍ جَميلٍ .»

لِـذٰلِكَ اسْتَعَدَّ بَكْ لِلطَّيَرانِ لِيُنَفِّذَ هٰـذِهِ ٱلأَوامِرَ . وَقالَ لَهُ أُوبيرُون : «بَيْنَما تَقومُ بِهٰـذا ٱلعَمَلِ ، سَأَذْهَبُ أَنا إِلى تايْتانْيا ، وَسَآخُذُ مِنْها الصَّبِيَّ الصَّغيرَ ، ثُمَّ أُزيلُ عَنْها تَأْثيرَ السَّائِلِ السِّحْرِيِّ ، وَبِـذٰلِكَ تَتَوَقَّفُ عَنْ حُبِّ ذٰلِكَ الرَّجُلِ ٱلأَحْمَقِ بُوتُم .»

فَلْتَعْزِفِ ٱلْمُوسيقَى !

كانَتْ تايْتانْيا نائِمةً عِنْدَما وَجَدَها أُوبيرُون ، وَقَدْ وَضَعَتْ أَزْهارًا جَميلةً حَوْلَ رَأْسِ بُوتُم – وَهُوَ رَأْسُ حِمارٍ – وَوَجَدَ أُوبيرُون أَنَّهُ مِنَ السَّهْلِ عَلَيْهِ أَخْذُ الصَّبِيِّ الصَّغيرِ مِنْها ، وَهِيَ نائِمةٌ . وَبَعْدَئِذٍ ، كانَ عَلى اسْتِعْدادٍ أَنْ يُزيلَ أَثَرَ السّائِلِ السِّحْرِيِّ مِنْ عَيْنَيْها ، فَلَمَسَ عَيْنَيْها بِزَهْرةٍ أُخْرَى ، وَأَيْقَظَها بِلُطْفٍ .

صاحَتْ تايْتانْيا : « يا حَبيبي أُوبيرُون ! يا لَتِلْكَ ٱلأَحْلامِ الَّتي راوَدَتْني ! فَقَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّني وَقَعْتُ في حُبِّ حِمارٍ . »

أَجابَها أُوبيرُون مُشيرًا إِلى بُوتُم النّائِمِ بِجِوارِها : « هاهُوَ ذا . »

سَأَلَتْ تايْتانْيا : « كَيْفَ حَدَثَ هٰذا ؟ إِنَّني لا أَحْتَمِلُ رُؤْيَتَهُ ٱلآنَ . »

عادَ بَكْ إِلى أُوبيرُون بَعْدَ أَنْ نَفَّذَ ما أَمَرَهُ بِهِ ، وَٱلْتَفَتَ إِلَيْهِ أُوبيرُون قائِلًا : « ٱخْلَعْ رَأْسَ ٱلحِمارِ مِنْ فَوْقِ بُوتُم ، وَاجْعَلْ هَؤُلاءِ ٱلخَمْسةَ – وَهُمْ : بُوتُم وَدِيمِيتْرِيَس وَلايْسانْدَر وَهِيلينا وَهِيرْمِيا – يَنامونَ نَوْمًا عَميقًا ، وَيَنْسونَ ما حَدَثَ . »

وَهُنا صاحَتْ تايْتانْيا : « فَلْتَعْزِفِ ٱلْمُوسيقَى ! »

وَصاحَ أُوبيرُون أَيْضًا : « فَلْتَعْزِفِ ٱلْمُوسيقَى ! وَٱلآنَ ، تعالَيْ يا مَليكَتي ، وَيَدُكِ في يَدي لِنَرْقُصَ حَوْلَ ٱلعالَمِ بِسُرْعةٍ تَفوقُ دَوَرانَ ٱلْقَمَرِ . »

إلى أثينـــــا

في الصَّباحِ آلباكِرِ مِنْ ذٰلِكَ آليَوْمِ ، دَخَلَ دُوقُ أثينا ، وَوالِدُ هيرْمِيا آلغابةَ ، وَمَعَهُما عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ آلأَصْدقاءِ وَآلخَدَمِ ، وَوَصَلوا إلى آلمَكانِ الَّذي تَنامُ فيهِ هِيرْمِيا وَهِيلِينا وَلايْساندَر وَدِيمِيتْرِيَس . وَعِنْدَئِذٍ ، اسْتَيْقَظَ الشُّبّانُ آلأَرْبَعةُ ، فَوْرَ سَماعِهِمْ أَصْواتَ الدُّوقِ وَأَصْدِقائِهِ .

كانَ لايْساندَر في ذٰلِكَ آلوَقْتِ يُحِبُّ هِيرْمِيا وَحْدَها ، كَما أَنَّ دِيمِيتْرِيَس لَمْ يَكُنْ يُحِبُّ سِوَى هِيلِينا .

وَعِنْدَئِذٍ قالَ دِيمِيتْرِيَس : «إنَّ حُبِّي لِهِيرْمِيا قَدِ انْقَضَى ، مِثْلَ الثَّلْجِ حينَ يَذوبُ . وَمِثْلَ أَحْلامِ الطُّفولةِ حينَ تَتَبَدَّدُ ، إنَّني آلآنَ لا أُحِبُّ سِوَى هِيلِينا . »

كانَ الدُّوقُ آلحَكيمُ يَعْلَمُ أَنَّ تِلْكَ نِهايةٌ طَيِّبةٌ . فَلَمْ يَكُنْ يُريدُ أَنْ يُزَوِّجَ هِيرْمِيا لِدِيمِيتْرِيَس . وَكَذٰلِكَ تَبَيَّنَ والِدُ هِيرْمِيا أَنَّهُ لا يُمْكِنُ بِأَيَّةِ حالٍ أَنْ يَأْمُرَ بِعَقْدِ قِرانِ ابْنَتِهِ عَلى دِيمِيتْرِيَس .

قالَ الدُّوقُ : «سَيَتَزَوَّجُ لايْساندَر هِيرْمِيا ، وَسَيَتَزَوَّجُ دِيمِيتْرِيَس هِيلِينا . وَآلآنَ ، تَعالَوا مَعي إلى أَثينا ، فَسَوْفَ أَتَزَوَّجُ أَنا أَيْضًا . هَيَّا نَرْجِعِ آلآنَ إلى أثينا ، فَإِنَّنا جَميعًا سَنَتَزَوَّجُ ، وَسَتُقامُ آلأَفْراحُ . »

هَمْلِت

أَحْزانُ هَمْلِت

كانَتْ غِرْتْرُود مَلِكَةً عَلى ٱلدّانِمَرْك . وَبَعْدَ شَهْرَيْنِ مِنْ مَوْتِ زَوْجِها – مَلِكِ ٱلدّانِمَرْك – تَزَوَّجَتْ بِأَخيهِ كْلُودْيَس ، وَلَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ أَنَّهُ شِرِّيرٌ . وَكانَ ٱلنّاسُ يَعْتَقِدونَ أَنَّ كْلُودْيَس هُوَ ٱلَّذي قَتَلَ أَخاهُ ، لِيَعْتَلِيَ ٱلعَرْشَ ، بَدَلًا مِنْ وَلِيِّ ٱلعَهْدِ هَمْلِت بنِ غِرْتْرُود ، وَٱبنِ ٱلمَلِكِ ٱلقَتيلِ .

كانَ هَمْلِت يُحِبُّ أَباهُ حُبًّا قَوِيًّا ؛ لِذا تَمَلَّكَهُ حُزْنٌ شَديدٌ بَعْدَ مَقْتَلِ أَبيهِ . وَضاعَفَ مِنْ حُزْنِهِ زَواجُ أُمِّهِ ؛ فَسَئِمَ ٱلحَياةَ ، وَأَظْلَمَتِ ٱلدُّنْيا في وَجْهِهِ . وَلَمْ يَعُدْ يَشْعُرُ بِأَيِّ سَعادةٍ أَوْ فَرَحٍ في أَيِّ عَمَلٍ ٱعتادَ أَنْ يَقومَ بِهِ ؛ فَتَوَقَّفَ عَنِ ٱلقِراءةِ وَٱللَّعِبِ ، وَجَميعِ ما يُحِبُّهُ ٱلشَّبابُ .. وَكانَ كُلُّ تَفْكيرِهِ يَدورُ حَوْلَ : «لِماذا نَسِيَتْ أُمّي أَبي بِهٰذِهِ ٱلسُّرْعةِ ؟ لَقَدْ كانَ أَبًا طَيِّبًا وَزَوْجًا صالِحًا !»

دَعا كْلُودْيَس جَميعَ أَصْدِقائِهِ وَخَدَمِهِ ، وَعَبَّرَ لَهُمْ عَنْ حُزْنِهِ لِمَوْتِ والِدِ هَمْلِت ، وَعَنْ سَعادَتِهِ بِزَواجِهِ مِنْ غِرْتْرُود . وَٱلتَفَتَ إِلى هَمْلِت قائلًا :

«وَٱلآنَ يا هَمْلِت ! إِنّي أَعْتَبِرُكَ ٱبنًا لي ، فَلِماذا تُخَيِّمُ عَلَيْكَ هٰذِهِ ٱلسَّحابةُ مِنَ ٱلحُزْنِ ؟! لِماذا كُلُّ هٰذِهِ ٱلكآبةِ ؟!»

قالَتْ لَهُ أُمُّهُ : «يا بُنَيَّ ، حاوِلْ أَلّا تُفَكِّرَ كَثيرًا في مَوْتِ أَبيكَ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ ذائقةُ ٱلمَوْتِ ، فَلِماذا تَظَلُّ مَهْمومًا ؟!»

رَدَّ هَمْلِت : «إنَّني لا أَتَظاهَرُ بِالحُزْنِ . إنَّني أَرْتَدي هٰذِهِ ٱلمَلابِسَ ٱلسَّوْداءَ ، لِأَنَّني حَزينٌ حَقًّا عَلى مَوْتِ أَبي . »

وَلَمْ تَسْتَطِعْ أُمُّهُ ، أَوْ كْلُودْيَس أَنْ يَفْعَلا شَيْئًا لإسْعادِهِ ، وَلِهٰذا لَمْ يَخْلَعْ ثَوْبَ ٱلحِدادِ ، وَلَمْ يَعُدْ يَشْعُرُ بِٱلرَّغْبةِ في ٱلضَّحِكِ ؛ بَلْ كانَ ٱلغَضَبُ يَغْلي في صَدْرِهِ بِسَبَبِ زَواجِ أُمِّهِ بِعَمِّهِ ، ٱلَّذي سَيْطَرَ عَلَيْهِ ٱلشَّرُّ . وَزادَتْ حَيْرَتُهُ وَدَهْشَتُهُ ، وَٱشْتَدَّ غَضَبُهُ عِنْدَما تَمَّ هٰذا ٱلزَّواجُ بَعْدَ فَتْرةٍ قَصيرةٍ جِدًّا مِنْ مَوْتِ أَبيهِ . وَأَخَذَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ قائلًا : «إنَّ عَمِّي مُخْتَلِفٌ تَمامًا عَنْ أَبي ؛ وَقَدْ تَزَوَّجَتْهُ أُمِّي بَعْدَ مَوْتِ أَبي بِفَتْرةٍ قَصيرةٍ جِدًّا .. إنَّ قَلْبي لَيَنْفَطِرُ حُزْنًا ، لِأَنَّني لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَبُوحَ بِما في نَفْسي لِأَيِّ شَخْصٍ . »

حَديثُ هُوراشْيُو

جاءَ هُوراشْيُو صَديقُ هَمْلِت ، وَأَخَذَ يَقُصُّ عَلَيْهِ قِصَّةً غَريبةً ، فَقالَ : «لَقَدْ ظَهَرَ طَيْفُ (شَبَحُ) والِدِكَ عَلى أَسْوارِ ٱلقَلْعةِ في مُنْتَصَفِ ٱللَّيْلِ ، عَلى مَدى لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلاثٍ ، ٱلأَمْرُ ٱلَّذي أَصابَ ٱلحُرّاسَ بِٱلفَزَعِ وَٱلرُّعْبِ . وَقَدْ رَأَيْتُهُ ، وَهُوَ يَرْتَدي حُلَّةَ ٱلقِتالِ ، ٱلَّتي كانَ يَرْتَديها ٱلمَلِكُ قَبْلَ ٱلمَعْرَكةِ ، وَحاوَلْتُ أَنْ أُحَدِّثَهُ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَرُدَّ ، وَقَدْ رَفَعَ رَأْسَهُ مَرَّةً ، كَأَنَّهُ يُريدُ أَنْ يَتَحَدَّثَ ، وَلٰكِنَّهُ ظَلَّ صامِتًا . »

سَأَلَ هَمْلِت هُوراشْيُو : «هَلْ رَأَيْتُمْ وَجْهَهُ ؟»

أَجابَهُ : «نَعَمْ ، وَكانَ يَبْدو عَلَيْهِ ٱلحُزْنُ أَكْثَرَ مِنَ ٱلغَضَبِ . »

قالَ هَمْلِت : «سَأَكُونُ مَعَكُمُ ٱللَّيْلَةَ بَيْنَ ٱلحادِيةَ عَشْرةَ وَٱلثَّانيةَ عَشْرةَ ، فَرُبَّما يَظْهَرُ ٱلطَّيْفُ مَرَّةً أُخرى ؛ فَأُحَدِّثُهُ . وَأَرْجو أَلَّا تُخْبِرَ أَحَدًا بِذٰلِكَ . »

اِنْصَرَفَ هُوراشْيُو ، وَأَخَذَ هَمْلِت يُفَكِّرُ في لِقاءِ ٱلطَّيْفِ ، وَيَقولُ في نَفْسِهِ : «إِنَّ في ٱلأَمْرِ سِرًّا ؛ فَالشَّرُّ لا يُمْكِنُ إِخْفاؤُهُ . وَعِنْدَما يُسْدِلُ ٱللَّيْلُ أَسْتارَهُ ، سَأَعْرِفُ ٱلحَقيقةَ . »

الطَّيْفُ

عِنْدَما خَيَّمَ ٱللَّيْلُ ، انْضَمَّ هَمْلِت إِلى جُنودِ ٱلحِراسةِ حَوْلَ أَسْوارِ ٱلقَلْعةِ ، في ٱلمَكانِ ٱلَّذي ظَهَرَ فيهِ ٱلطَّيْفُ .

كانَ ٱلجَوُّ هُناكَ شَديدَ ٱلبُرودةِ ، وَلٰكِنَّهُمْ كانُوا يَسْمَعونَ أَصْواتَ ضَحِكاتٍ وَغِناءٍ ، تَنْبَعِثُ مِنْ داخِلِ ٱلقَلْعةِ .

فَجْأَةً صاحَ هُوراشْيُو : «لَقَدْ ظَهَرَ ٱلطَّيْفُ ! »

حينَ رَأى هَمْلِت طَيْفَ أَبيهِ ، زالَ عَنْهُ ٱلخَوْفُ في ٱلحالِ ، وَأَخَذَ يُكَلِّمُهُ بِكُلِّ شَجاعةٍ . قالَ : «سَواءٌ أَ كُنْتَ رُوحًا طَيِّبةً ، أَمْ شَبَحًا شِرِّيرًا ، سَأُحَدِّثُكَ : إِنَّكَ تَبْدو شَديدَ ٱلشَّبَهِ بِأَبي . سَأُناديكَ بِاسْمِكَ ، يا مَوْلاي ، أَبي ! قُلْ لي : لِماذا أَتَيْتَ ؟ ما ٱلَّذي نَفْعَلُهُ لِمُعاوَنَتِكَ ؟ »

رَفَعَ ٱلطَّيْفُ يَدَهُ عالِيًا ، وَأَشارَ بِيَدِهِ بَعيدًا عَنِ ٱلجُنودِ .

قالَ هُوراشْيُو : «إِنَّهُ يُريدُ أَنْ يُحَدِّثَكَ عَلى انْفِرادٍ . »

لٰكِنَّ أَحَدَ ٱلحُرَّاسِ قالَ : «لا تَذْهَبْ مَعَهُ .»

أَضافَ هُوراشْيُو : «قَدْ يَقودُكَ إلى ٱلبَحْرِ ، أَوْ يَصْعَدُ بِكَ إلى قِمَّةِ صَخْرَةٍ عالِيَةٍ .» لٰكِنَّ هَمْلِت لَمْ يَشْعُرْ بِأَيِّ خَوْفٍ ، وَتَبِعَ ٱلطَّيْفَ .

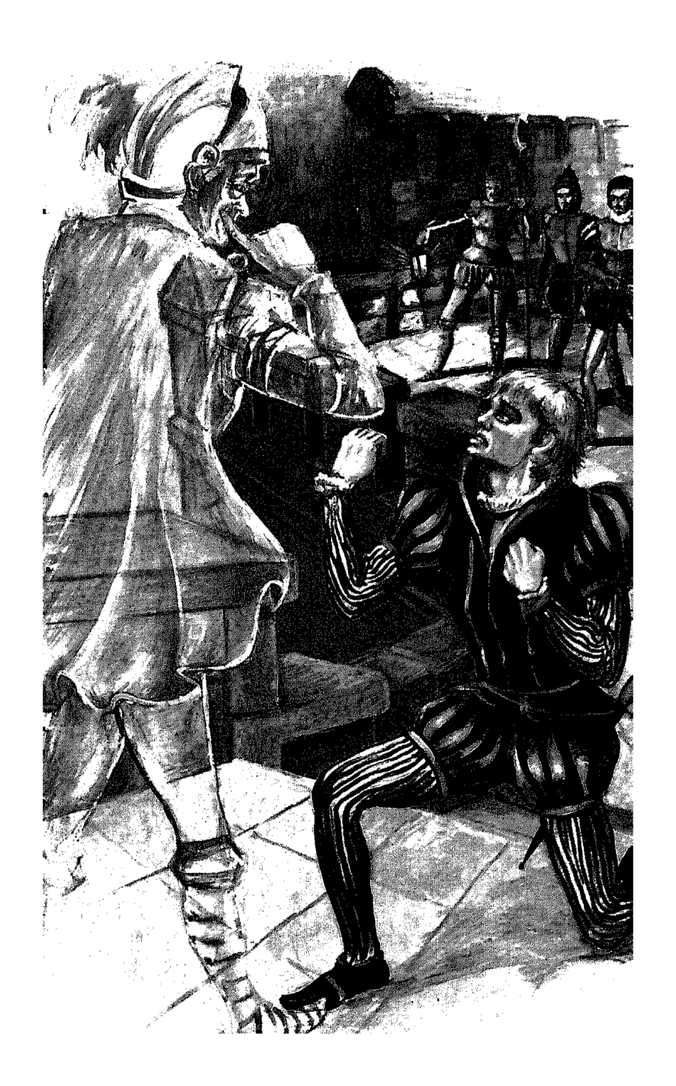
وَعْدُ هَمْلِت

عِنْدَما انْفَرَدَ ٱلطَّيْفُ بِهَمْلِت قالَ لَهُ : «إِنَّني طَيْفُ أَبيكَ .. لَقَدْ كُتِبَ عَلَيَّ أَنْ أَهيمَ بِٱللَّيْلِ ، حَتّى أُكَفِّرَ عَنِ ٱلخَطايا ٱلَّتي ارْتَكَبْتُها في حَياتي . أَنْصِتْ إِلَيَّ ! لَقَدْ قَتَلَ كْلُودْيَس أَباكَ بِأَنْ سَكَبَ ٱلسُّمَّ في أُذُنَيْهِ وَهوَ نائِمٌ . قَتَلَ أَخاهُ ، وَاسْتَوْلَى عَلى عَرْشِهِ وَزَوْجَتِهِ ! إِنَّ هٰذا ٱلرَّجُلَ كْلُودْيَس هوَ مَلِكُ ٱلدَّانْمَرْك ٱلحالي . فَلا بُدَّ أَنْ يُقْتَصَّ مِنَ ٱلشَّرِّ ! لا بُدَّ أَنْ يَموتَ كْلُودْيَس . اِنْتَقِمْ مِنْهُ يا هَمْلِت ، وَلٰكِنْ لا تُؤْذِ أُمَّكَ .»

قالَ هَمْلِت : «أَعِدُكَ بِأَنْ أُنَفِّذَ ما تُريدُ . سَأَنْسَى كُلَّ ما تَعَلَّمْتُهُ مِنَ ٱلكُتُبِ وَسَأَتَذَكَّرُ جَيِّدًا ما وَعَدْتُكَ بِهِ .»

أَسْرَعَ أَصْدِقاءُ هَمْلِت إِلَيْهِ ، وَطَلَبوا مِنْهُ أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِما قالَهُ ٱلطَّيْفُ . لٰكِنَّ هَمْلِت لَمْ يُخْبِرْهُمْ بِشَيْءٍ ، وَأَخْفَى هٰذا ٱلسِّرَّ حَتّى عَنْ أَقْرَبِ أَصْدِقائِهِ ، وَقالَ لَهُمْ :

«أَرْجو أَنْ تَعِدوني بِأَلّا تَبوحُوا بِما رَأَيْتُمُ ٱللَّيْلَةَ لِأَيِّ شَخْصٍ ؛ وَإِذا بَدَرَتْ مِنّي تَصَرُّفاتٌ غَريبَةٌ في ٱلمُسْتَقْبَلِ ، فَأَرْجو أَلّا تَذْكُروا ٱلسَّبَبَ لِأَيِّ أَحَدٍ .»



أوفِيلْيــــا

لَمْ يَكُنْ هَمْلِت يُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ كْلُودْيَس يَرْتابُ في ٱلأَمْرِ ، وَلِهٰذا تَصَنَّعَ ٱلجُنونَ ، حَتَّى مَعَ أُوفِيلْيا تِلْكَ ٱلفَتاةِ ٱلجَميلةِ ٱلَّتي أَحَبَّها . وَكانَ بُولُونْيَس والِدُ أُوفِيلْيا صَديقًا لِلْمَلِكِ ، وَكانَ يَعْتَقِدُ دائِمًا أَنَّ هَمْلِت لا يُحِبُّ ابْنَتَهُ فِعْلًا . وَلِذا أَمَرَ أُوفِيلْيا بِأَلَّا تُقابِلَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ ؛ وَلِهٰذا أَعادَتْ لِهَمْلِت خِطاباتِهِ ، وَأَخْبَرَتْهُ بِأَنَّها لا تَوَدُّ رُؤْيَتَهُ . وَعِنْدَما الْتَقَتْ أُوفِيلْيا بِهَمْلِت مَرَّةً أُخْرَى انْتابَتْها ٱلدَّهْشَةُ حينَ رَأَتْهُ مُرْتَديًا مَلابِسَ غَريبةً ، وَكانَ يَبْدُو غَيْرَ طَبيعيٍّ ، وَأَمْسَكَ ذِراعَها بِطَريقةٍ آلَمَتْها ، وَنَظَرَ إلى وَجْهِها مُدَّةً طَويلةً ثُمَّ ابْتَعَدَ عَنْها .

تَمَلَّكَ أُوفِيلْيا حُزْنٌ شَديدٌ ، دَفَعَها إلى أَنْ تُخْبِرَ والِدَها بِتَصَرُّفاتِ هَمْلِت ٱلغَريبةِ ، ٱلأَمْرُ الَّذي جَعَلَهُ يَجْزِمُ بِأَنَّ هَمْلِت يُحِبُّ أُوفِيلْيا حُبًّا جُنونيًّا ؛ وَلِهٰذا ذَهَبَ فَوْرًا لِمُقابَلةِ ٱلمَلِكِ .

بُولُونْيَس ٱلعَجوزُ

قالَ بُولُونْيَس لِلْمَلِكِ : « لَقَدِ اكْتَشَفْتُ سَبَبَ جُنونِ هَمْلِت . » ثُمَّ أَخْرَجَ أَحَدَ خِطاباتِ هَمْلِت إلى أُوفِيلْيا ، وَقَرَأَهُ لِلْمَلِكِ وَٱلمَلِكةِ . وَكانَ هَمْلِت يَطْلُبُ فيهِ مِنْ أُوفِيلْيا أَلَّا تَشُكَّ في حُبِّهِ أَبَدًا .

قالَ بُولُونْيَس : « لَقَدْ أَمَرْتُ أُوفِيلْيا بِأَلَّا تُقابِلَ هَمْلِت مَرَّةً أُخْرَى ، وَأَلَّا تَتَلَقَّى خِطاباتٍ مِنْهُ . »

لَمْ يَقْتَنِعْ كلُودْيَس بِأَنَّ حُبَّ أُوفِيلْيا هوَ سَبَبُ جُنونِ هَمْلِت ؛ فَقَرَّرَ أَنْ يُراقِبَ أُوفِيلْيا وَهِيَ تُقابِلُ هَمْلِت ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ بِنَفْسِهِ كَيْفَ يَتَصَرَّفُ هَمْلِت .

قالَتِ ٱلمَلِكَةُ : « اُنْظُرْ ! ها هُوَ ذا هَمْلِت قادِمٌ ٱلآنَ . »

قالَ بُولُونْيَس : « هَمْلِت ، هَلْ تَعْرِفُني ؟ »

رَدَّ عَلَيْهِ هَمْلِت : « آهٍ ! نَعَمْ ، إِنَّني أَعْرِفُكَ جَيِّدًا . إِنَّكَ بائِعُ ٱلسَّمَكِ ! إِنَّ أُولٰئِكَ ٱلَّذينَ يَبيعونَ ٱلسَّمَكَ رِجالٌ طَيِّبونَ . وَٱلرِّجالُ ٱلطَّيِّبونَ قَليلونَ ؛ إِذْ لا يُوجَدُ رَجُلٌ طَيِّبٌ بَيْنَ كُلِّ عَشَرَةِ آلافٍ . »

أَجابَ بُولُونْيَس : « لا ، إِنَّني لا أَبيعُ ٱلسَّمَكَ . »

« هَلْ لَكَ ابْنَةٌ ؟ »

« نَعَمْ . »

« اِمْنَحْها كامِلَ رِعايَتِكَ ، وَلا تَدَعْها تَسيرُ في ٱلشَّمْسِ . »

تَرَكَهُ بُولُونْيَس ، وَعِنْدَئِذٍ قالَ هَمْلِت : « يا لَأُولٰئِكَ ٱلعَجائِزِ ٱلحَمْقَى ! »

اعْتَقَدَ بُولُونْيَس أَنَّ هَمْلِت مَجْنونٌ تَمامًا ، غَيْرَ أَنَّهُ قالَ : « إِنَّني لَسْتُ مُتَأَكِّدًا مِنْ ذٰلِكَ ، وَلِهٰذا يَنْبَغي أَنْ أُرَتِّبَ لَهُ مُقابَلَةً مَعَ ابْنَتي . »

المُمَثِّلون

أَرْسَلَ كْلُودْيَس – ٱلَّذي لا يَثِقُ بِأَحَدٍ – في طَلَبِ اثْنَيْنِ مِنَ ٱلشُّبّانِ أَصْدِقاءِ

هَمْلِت مُنْذُ ٱلصِّغَرِ ، وَكانَ يُريدُ مِنْهُما أَنْ يَكْتَشِفا سَبَبَ تَصَرُّفاتِ هَمْلِت ٱلغَريبةِ .

عِنْدَما رَآهُما هَمْلِت دارَ في ذِهْنِهِ تَساؤُلٌ حَوْلَ سَبَبِ زيارَتِهِما لَهُ ، فَسَأَلَهُما : «لِماذا أَتَيْتُما إلى هُنا ؟ . أَأَمَرَكُما أَحَدٌ بِٱلحُضورِ ، أَمْ أَتَيْتُما طَواعِيَةً ؟»

أَجابا : «لَقَدِ استُدْعينا لِلْحُضورِ .»

قالَ هَمْلِت : «سَأُخْبِرُكُما لِماذا أُرْسَلوا في طَلَبِكُما . لَقَدْ فَقَدْتُ في ٱلآوِنةِ ٱلأَخيرةِ كُلَّ سَعادَتي بِجَمالِ ٱلأَرْضِ وَٱلسَّماءِ . إنَّ ٱلإِنْسانَ مَخْلوقٌ رائِعٌ ، بالِغُ ٱلحِكْمةِ بالِغُ ٱلجَمالِ . وَلٰكِنِ ٱلآنَ – لا ٱلرَّجُلُ يَبْعَثُ في نَفْسي ٱلسُّرورَ ، وَلا ٱلمَرْأَةُ !»

كانَ ٱلرَّدُّ : «مِنَ ٱلمُحْتَمَلِ أَنْ يُعْجِبَكَ هٰؤُلاءِ ٱلمُمَثِّلونَ ، فَهُمْ قادِمونَ لِتَمْثيلِ مَسْرَحيَّةٍ في ٱلقَلْعةِ .»

سَأَلَ هَمْلِت : «مَنْ هُمْ هٰؤُلاءِ ٱلمُمَثِّلونَ ؟»

أَجابَ صَديقاهُ : «إنَّهُمُ ٱلمُمَثِّلونَ ٱلَّذين تُحِبُّ مُشاهَدَتَهُمْ .»

وَسَرْعانَ ما حَضَرَ ٱلمُمَثِّلونَ ، وَكانَ هَمْلِت في غايةِ ٱلسُّرورِ لِرُؤْيَتِهِمْ وَطَلَبَ مِنْ أَحَدِهِمْ أَنْ يُرَدِّدَ أَمامَهُ بِضْعةَ أَسْطُرٍ عَنْ مَوْتِ مَلِكٍ قَديمٍ . فَحَكَى ٱلمُمَثِّلُ كَيْفَ قُتِلَ ٱلمَلِكُ ، وَأُحْرِقَتْ مَدينَتُهُ ؛ ثُمَّ تَحَدَّثَ عَنِ ٱلمَلِكةِ ٱلحَزينةِ

ٱلَّتي أَخَذَتْ تَجْري في جَميعِ أَنْحاءِ ٱلقَصْرِ ، وَقَدْ وَضَعَتْ عَلى رَأْسِها قِطْعَةَ قُماشٍ بَدَلًا مِنَ ٱلتَّاجِ .

وَقَدْ أَجادَ ٱلمُمَثِّلُ عَرْضَ ٱلقِصَّةِ ، حَتَّى إِنَّ ٱلدُّموعَ كانَتْ تَمْلَأُ عَيْنَيْهِ . وَعِنْدَما رَأَى هَمْلِت ٱلمُمَثِّلَ يَبْكي ، غَضِبَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَخَذَ يُفَكِّرُ : «إِنَّ هٰذا ٱلمُمَثِّلَ يَبْكي عَلى مَلِكَةٍ لَمْ يَعْرِفْها أَبَدًا ، في حينِ أَنَّني لَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا لِمَوْتِ والِدي !»

فَجْأَةً فَكَّرَ في خُطَّةٍ : «سَأَطْلُبُ مِنَ ٱلمُمَثِّلينَ ٱلقِيامَ بِعَرْضِ قِصَّةٍ شَبيهَةٍ بِمَوْتِ والِدي وَسَأَدْعو كْلُودْيَس لِمُشاهَدَةِ هٰذِهِ ٱلتَّمْثيلِيَّةِ ، لِيَرَى ما ٱقْتَرَفَتْهُ يَداهُ ، فَقَدْ يُثْبِتُ هٰذا لي أَنَّ كْلُودْيَس قَتَلَ والِدي فِعْلًا ، وَحينَئِذٍ أَتَأَكَّدُ تَمامًا أَنَّ ما قالَهُ ٱلطَّيْفُ كانَ حَقيقِيًّا .»

التَّمْثيلِيَّةُ

في هٰذِهِ ٱلأُمْسِيَّةِ أَخْبَرَ هَمْلِت بَعْضَ ٱلمُمَثِّلينَ بِما سَيَقومونَ بِهِ ، كَما قابَلَ هُوراشْيُو – صَديقَهُ ٱلحَميمَ – وَقالَ لَهُ : «راقِبْ كْلُودْيَس جَيِّدًا أَثْناءَ ٱلتَّمْثيلِيَّةِ .. راقِبْ تَعْبيراتِ وَجْهِهِ .»

وَحينَما أَصْبَحَ ٱلمُمَثِّلونَ مُسْتَعِدّينَ لِبَدْءِ ٱلتَّمْثيلِيَّةِ ، جَلَسَ هَمْلِت إِلى جانِبِ



أُوفِيلْيا . وَكانَ كْلُودْيَس – ٱلَّذي لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ خُطَّةِ هَمْلِت – هُناكَ مَعَ ٱلمَلِكَةِ وَجَميعِ أَصْدِقائِهِما .

بَدَأَتِ ٱلتَّمْثيلِيَّةُ ، وَقالَتْ : « إِنَّ ٱلنِّساءَ ٱللَّاتي يَتَزَوَّجْنَ هُنَّ ٱللَّاتي يَقْتُلْنَ أَزْواجَهُنَّ . »

وَنامَ ٱلمَلِكُ – في ٱلتَّمْثيلِيَّةِ – في ٱلحَديقَةِ حَيْثُ قَتَلَهُ ابْنُ أَخيهِ . عِنْدَئِذٍ هَبَّ كْلُودْيَس واقِفًا لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَتَحَمَّلَ مِنَ ٱلتَّمْثيلِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ ، إِذْ إِنَّها كانَتْ تُشْبِهُ إِلى حَدٍّ كَبيرٍ ٱلطَّريقَةَ ٱلَّتي قَتَلَ بِها أَخاهُ .

سَأَلَتْهُ ٱلمَلِكَةُ : « ماذا بِكَ يا سَيِّدي ؟ ما ٱلأَمْرُ ؟ »

وَصَرَخَ بُولُونْيَس : « أَوْقِفوا ٱلتَّمْثيلِيَّةَ ! »

وَصاحَ ٱلمَلِكُ : « أَضيئوا ٱلأَنْوارَ ! أُخْرُجوا جَميعًا ! »

تَأَكَّدَ هَمْلِت أَنَّ ما قالَهُ ٱلطَّيْفُ كانَ ٱلحَقيقَةَ . لَقَدْ تَأَكَّدَ أَنَّ عَمَّهُ هُوَ ٱلَّذي قَتَلَ أَباهُ ، وَلَمْ يَعُدْ أَمامَهُ سِوَى أَنْ يُنَفِّذَ أَمْرَ ٱلطَّيْفِ .

أُمُّ هَمْلِت

أَرْسَلَتِ ٱلمَلِكَةُ خادِمًا يَطْلُبُ مِنْ هَمْلِت أَنْ يَذْهَبَ إِلى غُرْفَتِها . وَبَيْنَما هوَ في طَريقِهِ إِلى غُرْفَةِ أُمِّهِ ، رَأَى كْلُودْيَس راكِعًا يُصَلّي ، وَبَدا وَكَأَنَّهُ يَعْتَرِفُ إِلى ٱللهِ بِٱلخَطايا ٱلَّتي اقْتَرَفَها .

وَدارَتِ ٱلأَفْكارُ في رَأْسِ هَمْلِت : « يُمْكِنُني أَنْ أَقْتُلَهُ ٱلآنَ ، وَلٰكِنَّني إِذا

قَتَلْتُهُ – وَهوَ يُصَلِّي – فازَ بِٱلجَنَّةِ . يَجِبُ أَنْ أَخْتارَ ٱلوَقْتَ ٱلمُناسِبَ لِقَتْلِهِ – حينَما يَكونُ غاضِبًا ، أَوْ نائِمًا . »

كانَ بُولُونْيَس مُخْتَبِئًا وَراءَ سِتارةٍ في غُرْفَةِ ٱلمَلِكَةِ ، فَقَدْ وَعَدَ كْلُودْيَس أَنْ يَخْتَبِئَ لِيَسْمَعَ كُلَّ ما يَقولُهُ هَمْلِت . وَكانَتِ ٱلمَلِكَةُ تَعْلَمُ أَنَّ بُولُونْيَس هُناكَ .

دَخَلَ هَمْلِت غُرْفَةَ ٱلمَلِكَةِ ، وَسَأَلَها : « ما ٱلخَبَرُ يا أُمّاهُ ؟ »

أَجابَتْ : « لَقَدْ أَغْضَبْتَ أَباكَ غَضَبًا شَديدًا . »

قالَ : « أَبي ! إِنَّ كْلُودْيَس لَيْسَ أَبي .. لَقَدْ أَخْطَأْتِ في حَقِّ أَبي كَثيرًا . »

سَأَلَتِ ٱلمَلِكَةُ : « هَلْ نَسيتَ أَنَّني أُمُّكَ ؟ »

أَجابَ هَمْلِت : « لا ! إِنَّكِ ٱلمَلِكَةُ ، زَوْجَةُ عَمّي ، وَأُمّي ! كَمْ تَمَنَّيْتُ أَلّا تَكوني كَذٰلِكَ ! لا ، لا تَتَحَرَّكي . اِجْلِسي حَتّى أُخْبِرَكِ بِكُلِّ شَيْءٍ عَنْ نَفْسِكِ . »

صَرَخَتْ قائِلَةً : « ماذا ؟ هَلْ تُريدُ أَنْ تَقْتُلَني ؟ ! » ثُمَّ صاحَتْ : « ٱلنَّجْدة ! ٱلنَّجْدةَ ! »

مَوْتُ بُولُونْيَس

عِنْدَما سَمِعَ بُولُونْيَس صَرْخَةَ ٱلمَلِكَةِ صاحَ مِنْ وَراءِ ٱلسِّتارةِ . « النَّجْدةَ ! النَّجْدةَ ! »

صَرَخَ هَمْلِت : « ما هٰذا ؟ فَأْرٌ ؟ وَسَلَّ سَيْفَهُ ، وَضَرَبَ بِهِ ضَرْبَةً شَقَّتِ



ٱلسِّتارةَ ؛ فَقَدْ كانَ يَظُنُّ أَنَّ كُلُودْيَس يَخْتَبِئُ وَراءَها ، وَتَمَنَّى أَنْ يَكونَ قَدْ قَتَلَهُ . وَأَزاحَ ٱلسِّتارةَ جانِبًا ، فاكْتَشَفَ أَنَّهُ قَتَلَ بُولُونْيَس .

وَصَرَخَتِ ٱلمَلِكة قائِلةً : « آهٍ ! ماذا فَعَلْتَ ؟! »

قالَ هَمْلِت : « إنَّ ما ارْتَكَبْتُهُ قَريبٌ إلى حَدٍّ كَبيرٍ مِنْ قَتْلِ مَلِكٍ ، وَٱلزَّواجِ بِأَخيهِ . »

قالَتْ : « كَيْفَ تَجْرُؤُ أَنْ تُكَلِّمَني بِهٰذِهِ ٱلصُّورةِ ؟! »

عِنْدَئِذٍ عَرَضَ عَلَيْها هَمْلِت صُورَتَيْنِ : إحْداهُما لِأَبيهِ ، وَٱلأُخْرَى لِعَمِّهِ كُلُودْيَس وَقالَ : « أُنْظُري إلى هٰذِهِ ٱلصُّورةِ ، ثُمَّ إلى تِلْكَ ٱلصُّورةِ . إنَّهُما صورَتانِ لِأَخَوَيْنِ . أُنْظُري إلى ٱلوَسامةِ ٱلَّتي تُشِعُّ مِنْ وَجْهِ أَبي . إنَّهُ يَبْدو كَأَحَدِ ٱلأَبْطالِ . وَٱلآنَ ، انْظُري إلى صُورةِ عَمِّي ! كَيْفَ يُمْكِنُكِ أَنْ تَنْسَيْ والِدي بِهٰذِهِ ٱلسُّرْعةِ ؛ وَأَنْ تَشْعُري بِٱلسَّعادةِ مَعَ عَمِّي ؟ ما ٱلَّذي جَعَلَكِ تَتَزَوَّجينَهُ ؟ لا يُمْكِنُكِ أَنْ تُسَمِّي هٰذا حُبًّا ، لِأَنَّهُ في سِنِّكِ تَبْرُدُ ٱلعَواطِفُ . ما ٱلَّذي أَعْماكِ ؟ »

صاحَتِ ٱلمَلِكةُ : « كَفَى يا هَمْلِت ! كَفَى ! »

عَوْدةُ ٱلطَّيْفِ

اِزْدادَ غَضَبُ هَمْلِت شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَظَهَرَ ٱلطَّيْفُ أَمامَهُ ؛ فَصَرَخَ هَمْلِت : « آهٍ ! ، هَلْ أَتَيْتَ لِتُخْبِرَني بِأَنَّني – أَثْناءَ غَضَبي – نَسيتُ ما وَعَدْتُ بِهِ ؟ »

فَقالَتِ ٱلمَلِكةُ في نَفْسِها : «إنَّهُ مَجْنونٌ !»

قالَ ٱلطَّيْفُ : «لا تَنْسَ وَعْدَكَ ، وَلٰكِنِ ٱنْظُرْ إلى أُمِّكَ . كَمْ هِيَ خائِفةٌ ! تَكَلَّمْ مَعَها . ساعِدْها يا هَمْلِت .»

سَأَلَها هَمْلِت : «ماذا بِكِ يا أُمِّي ؟»

أَجابَتِ ٱلمَلِكةُ : «ماذا أَلَمَّ بِكَ أَنْتَ ؟ إنَّكَ تَنْظُرُ ، وَتَتَكَلَّمُ إلى لا شَيْءٍ ! إلى أَيِّ شَيْءٍ تَنْظُرُ يا بُنَيَّ ؟»

قالَ هَمْلِت : «إنَّني أَنْظُرُ إلَيْهِ ! أَنْظُرُ إلَيْهِ !»

سَأَلَتْهُ : «إلى مَنْ تَتَحَدَّثُ ؟»

سَأَلَها : «أَلا تَرَيْنَ شَيْئًا هُناكَ ؟ أَلا تَسْمَعينَ شَيْئًا ؟»

أَجابَتْ : «لا ، لا أَرى شَيْئًا أَلْبَتَّةَ !»

قالَ : «أُنْظُري هُناكَ ! أُنْظُري كَيْفَ يَتَحَرَّكُ بَعيدًا . إنَّهُ أَبي !»

قالَتْ : «لا يُوجَدُ أَيُّ طَيْفٍ . إنَّكَ تَراهُ لِأَنَّكَ مَجْنونٌ !»

قالَ : «إنَّني لَسْتُ مَجْنونًا . لَقَدْ جاءَ طَيْفُ أَبي إلى هُنا بِسَبَبِ ما فَعَلْتِهِ . صَلِّي لِلّٰهِ ، كَيْ يَعْفُوَ عَنْكِ . لا تَعودي لِلْمَلِكِ ، وَلا تَتَصَرَّفي كَزَوْجةٍ لَهُ بَعْدَ ٱلآنَ .»

قالَتْ : «إنَّكَ لَمَجْنونٌ !»

قالَ : « إنَّني لَسْتُ مَجْنونًا ، وَلٰكِنْ يُمْكِنُكِ أَنْ تَجْعَلي كْلُودْيَس يَظُنُّ أَنَّني مَجْنونٌ . أَرْجو أَلَّا تُخْبِريهِ بِما قُلْتُهُ لَكِ . عِديني بِهٰذا ! تُصْبِحينَ عَلى خَيْرٍ . »

إلى إنْجِلْتِرا

عِنْدَما رَأى كْلُودْيَس أُمَّ هَمْلِت عَرَفَ أَنَّ في ٱلأَمْرِ شَيْئًا ، فَسَأَلَها : « كَيْفَ حالُ هَمْلِت ؟ »

أَجابَتْ : « إِنَّهُ مَجْنونٌ ، كَٱلبَحْرِ وَٱلرِّيحِ حينَما يَتَصارَعانِ . فَعِنْدَما سَمِعَ شَيْئًا يَتَحَرَّكُ وَراءَ ٱلسِّتارَةِ ، صاحَ في غَضَبٍ : فَأْرٌ ! فَأْرٌ ! وَقَتَلَ بُولُونْيَس . »

قالَ كْلُودْيَس : « إنَّ ٱلأَميرَ ٱلشَّابَّ ٱلمَجْنونَ خَطَرٌ عَلَيْنا . وَيَجِبُ أَنْ نُقْصِيَهُ إلى إنْجِلْتِرا . »

وَأَرْسَلَ في طَلَبِ هَمْلِت وَقالَ لَهُ : « سَأُرْسِلُكَ إلى إنْجِلْتِرا ، حَتَّى تَكونَ في أَمانٍ مِنْ شَعْبِ ٱلدَّانِمَرْك ٱلَّذي قَدْ يُحاوِلُ قَتْلَكَ بَعْدَ أَنْ يَسْمَعَ بِقَتْلِكَ بُولُونْيَس . إِسْتَعِدَّ بِسُرْعَةٍ ، فَإِنَّ ٱلسَّفينَةَ تَنْتَظِرُ . »

لَمْ يُخْبِرْ كْلُودْيَس هَمْلِت بِأَنَّهُ أَرْسَلَ رِسالَةً إلى مَلِكِ إنْجِلْتِرا مَعَ صَديقَيْ هَمْلِت ٱللَّذَيْنِ كانا يَعْرِفانِ أَنَّ كْلُودْيَس طَلَبَ – في هٰذِهِ ٱلرِّسالَةِ – مِنَ ٱلمَلِكِ قَتْلَ هَمْلِت فَوْرَ وُصولِهِ إلى إنْجِلْتِرا .

هُروبُ هَمْلِت

في عُرْضِ ٱلبَحْرِ ، بَدَأَ هَمْلِت يَتَأَكَّدُ أَنَّ كْلُودْيَس قَدْ بَيَّتَ لَهُ شَرًّا ، فَلَمْ يَكُنْ هَمْلِت يَثِقُ بِصَدِيقَيْهِ .

في إِحْدَى ٱللَّيالي ، اسْتَيْقَظَ ، وَبَحَثَ عَنِ ٱلخِطابِ ٱلَّذي كانَ يَحْمِلُهُ صَديقاهُ ، وَفَتَحَهُ وَقَرَأَ فيهِ أَنَّ كْلُودْيَس طَلَبَ مِنْ مَلِكِ إِنْجِلْتِرا قَتْلَهُ ؛ فَقامَ هَمْلِت بِوَضْعِ اسْمَيْ صَديقَيْهِ مَكانَ اسْمِهِ في ٱلخِطابِ ، حَتَّى يَبْدوَ أَنَّ ٱلمَطْلوبَ قَتْلُهُما .

هاجَمَ بَعْضُ ٱلقَراصِنَةِ – في ٱليَوْمِ ٱلتَّالي – سَفينَةَ هَمْلِت لِيَسْتَوْلوا عَلى ما تَحْمِلُهُ مِنْ بَضائِعَ . وَفي أَثْناءِ ٱلمَعْرَكَةِ ، قَفَزَ هَمْلِت إِلى سَفينَةِ ٱلقَراصِنَةِ لِيَشْتَبِكَ مَعَهُمْ . وَبَيْنَما هوَ عَلى ٱلسَّفينَةِ أَبْحَرَتْ سَفينَتُهُ بَعيدًا .

وَعِنْدَما عَلِمَ ٱلقَراصِنَةُ أَنَّ هَمْلِت أَميرٌ ، تَرَفَّقوا في مُعامَلَتِهِ ، وَطَلَبوا مِنْهُ أَنْ يَعِدَهُمْ بِشَيْءٍ مُقابِلَ إِطْلاقِ سَراحِهِ . وَحينَذاكَ أَنْزَلوهُ في أَمانٍ عَلى شَواطِئِ ٱلدَّانِمَرْك .

وَمِنْ هٰذا ٱلمَكانِ كَتَبَ هَمْلِت رِسالَةً إِلى صَديقِهِ هُوراشْيُو يُخْبِرُهُ فيها بِمَعْرَكَتِهِ مَعَ ٱلقَراصِنَةِ في ٱلبَحْرِ ، وَبِعَوْدَتِهِ إِلى ٱلدَّانِمَرْك . وَطَلَبَ مِنْ هُوراشْيُو أَنْ يُرْسِلَ خِطابًا إِلى كْلُودْيَس .

في رِسالَتِهِ إِلى صَديقِهِ قالَ هَمْلِت : «لَقَدْ تَرَكَني ٱلقَراصِنَةُ عَلَى شاطِئِ

آلدّانْمَرْك بِلا مالٍ أَوْ مَلابِسَ . أَرْجو أَنْ أَراكَ غَدًا ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ عَوْدَتي آلغَريبةِ إِلى آلدّانْمَرْك . »

قَبْرُ أُوفِيلْيا

عِنْدَما عادَ هَمْلِت إِلى مَوْطِنِهِ في آليَوْمِ آلتّالي ، رَأَى رَجُلَيْنِ يَحْفِرانِ قَبْرًا ؛ فَسَأَلَهُما : « قَبْرُ مَنْ هٰذا ؟ » لٰكِنَّهُما لَمْ يُخْبِراهُ أَنَّهُ قَبْرُ أُوفِيلْيا . فَقَدْ أَخَذَتْ أَعْراضُ آلجُنونِ تَظْهَرُ عَلى أُوفِيلْيا مُنْذُ أَن قَتَلَ هَمْلِت أَباها بُولُونْيَس . فَلَمْ تَكُنْ تُصَدِّقُ أَنَّ آلرَّجُلَ آلَّذي أَحَبَّتْهُ ارْتَكَبَ مِثْلَ هٰذِهِ آلجَريمةِ ؛ وَبَدَأَتْ تَجْمَعُ آلأَزْهارَ وَتُوَزِّعُها عَلى آلنّاسِ في آلبَلاطِ آلمَلَكيِّ .

وَفي يَوْمٍ مِنَ آلأَيّامِ أَرادَتْ أَنْ تَقْطِفَ بَعْضَ آلزُّهورِ مِنْ غُصْنِ شَجَرةٍ تُطِلُّ عَلى نَهْرٍ . وَبَيْنَما هِيَ تَتَسَلَّقُ غُصْنَ آلشَّجَرةِ ، انْكَسَرَ فَجْأَةً . وَسَقَطَتْ في آلنَّهْرِ ، وَتَشَبَّعَ رِداؤُها بِآلماءِ فَأَثْقَلَها ؛ وَغاصَتْ إِلى قاعِ آلنَّهْرِ وَماتَتْ . وَبَيْنَما كانَ هَمْلِت عِنْدَ آلقَبْرِ ، جاءَ آلمَلِكُ وَآلمَلِكةُ وَمَعَهُما آلخَدَمُ يَحْمِلونَ جُثْمانَ أُوفِيلْيا، وَكانَ مَعَهُمْ أَخوها لارْتِيس .

لَمْ يَكُنْ هَمْلِت يَعْرِفُ ما حَدَثَ ، وَرَأَى لارْتِيس واقِفًا قَريبًا مِنَ آلقَبْرِ يَتَحَدَّثُ عَنْ أُوفِيلْيا ، ثُمَّ رَأَى آلمَلِكةَ تَنْثُرُ بَعْضَ آلأَزْهارِ عَلى آلقَبْرِ ، وَهِيَ تَقولُ : « إِنَّ آلأَزْهارَ آلجَميلةَ لِلْفَتاةِ آلجَميلَةِ ! كَمْ تَمَنَّيْتُ أَنْ تَكوني زَوْجةَ هَمْلِت ! كَمْ تَمَنَّيْتُ أَنْ أَنْثُرَ آلأَزْهارَ عَلى سَريرِ عُرْسِكِ ، لا عَلى قَبْرِكِ ! »

فَجْأَةً صَرَخَ لارْتِيس : «لا تُهيلوا مَزيدًا مِنَ ٱلتُّرابِ في ٱلقَبْرِ . دَعوني أُضُمُّها إلى صَدْري مَرَّةً أُخْرى . » ثُمَّ قَفَزَ إلى قَبْرِ أُوفِيلْيا مُسْتَسْلِمًا لِلْحُزْنِ . حينَئِذٍ تَقَدَّمَ هَمْلِت وَقَفَزَ إلى ٱلقَبْرِ بِجانِبِ لارْتِيس صائِحًا : «لَقَدْ أَحْبَبْتُ أُوفِيلْيا حُبًّا يَفوقُ حُبَّ أَرْبَعينَ أَلْفَ أَخٍ . »

اِنْدَفَعَ لارْتِيس في تِلْكَ ٱللَّحْظَةِ يُقاتِلُ هَمْلِت ، لٰكِنَّ ٱلخَدَمَ ٱلواقِفينَ بِجِوارِ ٱلقَبْرِ أَوْقَفوا ٱلرَّجُلَيْنِ ٱللَّذَيْنِ سَيْطَرَ عَلَيْهِما ٱلغَضَبُ ، وَأَخْرَجوهُما مِنَ ٱلقَبْرِ . وَلَمْ يَسْتَطِعْ هَمْلِت أَنْ يَفْهَمَ لِماذا كانَ لارْتِيس غاضِبًا مِنْهُ . فَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ أَنَّ كْلُودْيَس أَوْعَزَ إلى لارْتِيس أَنْ يَقْتُلَهُ ، بِأَنْ أَوْغَرَ صَدْرَهُ بِأَكاذيبَ عَنِ ٱلطَّريقَةِ ٱلَّتي قُتِلَ بِها أَبوهُ بُولُونْيَس .

مُؤامَرَةٌ لِقَتْلِ هَمْلِت

بَعْدَ أَنْ تَرَكَ هَمْلِت قَبْرَ أُوفِيلْيا تَحَدَّثَ كْلُودْيَس مَرَّةً أُخْرى مَعَ لارْتِيس عَنْ قَتْلِ هَمْلِت . وَكانَتْ خُطَّتُهُما تَقْضي بِأَنْ تُقامَ مُبارَزَةٌ بِٱلسَّيْفِ بَيْنَ لارْتِيس وَهَمْلِت . وَكانَتِ ٱلسُّيوفُ ٱلَّتي تُسْتَخْدَمُ في أَمْثالِ تِلْكَ ٱلمُبارَزَةِ مُغَطّاةَ ٱلأَطْرافِ ، لِذا لَمْ تَكُنْ تُشَكِّلُ خَطَرًا عَلى ٱلمُتَبارِزينَ . وَلٰكِنَّ كْلُودْيَس طَلَبَ مِنْ لارْتِيس أَلّا يُغَطِّيَ طَرَفَ سَيْفِهِ ، كَيْ يُصْبِحَ غايَةً في ٱلخُطورَةِ ، وَبِهٰذا يَقْتُلُ أَيَّ إِنْسانٍ . وَأَرادَ لارْتِيس أَنْ يَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهُ سَيَقْتُلُ هَمْلِت ، لِذٰلِكَ دَبَّرا غَمْسَ طَرَفِ سَيْفِهِ في ٱلسُّمِّ ، وَوَعَدَهُ كْلُودْيَس بِتَقْديمِ شَرابٍ مَسْمومٍ لِهَمْلِت إِنْ لَمْ يُصِبْهُ لارْتِيس بِجُروحٍ .

ذَهَبَ أَحَدُ خَدَمِ ٱلمَلِكِ إلى هَمْلِت ، وَأَبْلَغَهُ بِأَنَّهُ مَدْعو لِأَنْ يُبارِزَ لارْتِيس .

قالَ لَهُ هُوراشْيُو : « سَوْفَ يَهْزِمُكَ لارْتِيس ، إذْ لا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْتَصِرَ عَلَيْهِ في مُبارَزَةٍ بِٱلسَّيْف . »

أَجابَ هَمْلِت : « لا أَظُنُّ ذٰلِكَ ، لِأَنَّني تَدَرَّبْتُ كَثيرًا عَلى ٱلمُبارَزَةِ بِٱلسَّيْفِ ، مُنْذُ أَنْ سافَرَ لارْتِيس إلى فَرَنْسا حَتَّى ٱلآنَ . لٰكِنَّني أَشْعُرُ بِأَنَّ في ٱلأَمْرِ شَيْئًا . إنَّ هُناكَ مُؤامَرةً لِقَتْلي . »

المُبارَزَةُ

دَخَلَ لارْتِيس قاعةَ ٱلقَصْرِ ٱلكَبيرةَ مَعَ ٱلمَلِكِ وَٱلمَلِكةِ ، وَمَعَهُما ٱلخَدَمُ ، وَحاوَلَ هَمْلِت أَنْ يَتَصَرَّفَ بِدونِ أَنْ يُثيرَ أَيَّةَ رِيبةٍ ، فَقالَ : « هَيَّا ، دَعْنا نَتَبارَزُ مُبارَزةً وُدِّيَّةً . »

بَدا هَمْلِت مُتَفَوِّقًا في بِدايةِ ٱلمُبارَزةِ ، فَقَدَّمَ لَهُ كْلُودْيَس ٱلكَأْسَ ٱلمَسْمومةَ ، إلَّا أَنَّ هَمْلِت لَمْ يَشْرَبْها قائِلًا : « سَأَشْرَبُها فيما بَعْدُ . » غَيْرَ أَنَّ ٱلمَلِكةَ أَرادَتْ أَنْ تُظْهِرَ لِهَمْلِت سَعادَتَها ٱلغامِرةَ بِانْتِصارِهِ ؛ فَالْتَقَطَتِ ٱلكَأْسَ ٱلمَسْمومةَ ، وَشَرِبَتْها .

وَسُرْعانَ ما أَصابَ لارْتِيس هَمْلِت بِجُرْحٍ بِسَيْفِهِ ٱلمَسْمومِ ، وَلٰكِنَّهُما واصَلا ٱلمُبارَزةَ . وَسَقَطَ سَيْفا ٱلِاثْنَيْنِ عَلى ٱلأَرْضِ . وَٱلْتَقَطَ هَمْلِت سَيْفَ لارْتِيس ٱلمَسْمومَ خَطَأً ، وَأَصابَهُ بِهِ .

وَفَجْأَةً سَقَطَتِ ٱلمَلِكَةُ عَلى ٱلأَرْضِ ، وَعِنْدَئِذٍ صَرَخَ هَمْلِت : « المَلِكَةُ ! ماذا حَدَثَ ؟ »

قالَ كْلُودْيَس : « لَقَدْ أُغْميَ عَلَيْها بِسَبَبِ مَنْظَرِ ٱلدَّمِ ٱلَّذي يَسيلُ مِنْ جُرْحِكَ . »

صَرَخَتِ ٱلمَلِكَةُ قَبْلَ أَنْ تَموتَ : « الشَّرابَ ! ٱلشَّرابَ ! إِنَّهُ مَسْمومٌ ! »

مَوْتُ هَمْلِت

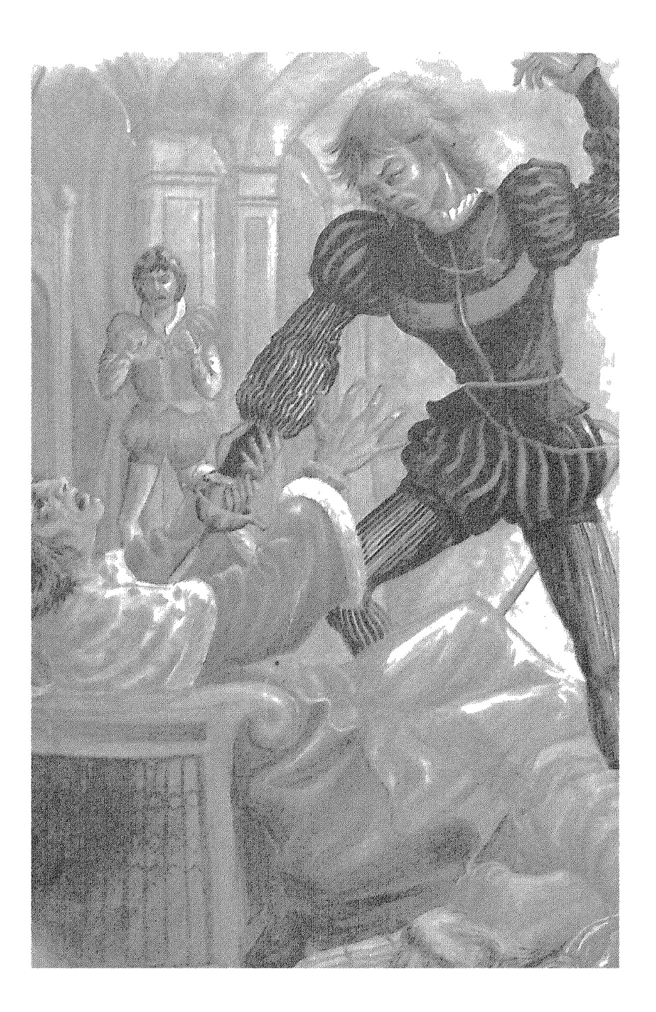
صاحَ هَمْلِت : « أَغْلِقوا جَميعَ ٱلأَبْوابِ ! »

وَقَعَ لارْتِيس جَريحًا مَسْمومًا ، وَصاحَ : « لَيْسَ هُناكَ ما يُنْقِذُكَ يا هَمْلِت . لَقَدْ جُرِحْتَ بِسَيْفٍ مَسْمومٍ ، وَجُرِحْتُ أَنا أَيْضًا بِٱلسَّيْفِ نَفْسِهِ ! وَقَدْ شَرِبَتْ أُمُّكَ كَأْسًا مَسْمومَةً ! إِنَّ ٱلمَلِكَ هوَ ٱلَّذي فَعَلَ ذٰلِكَ كُلَّهُ . »

نَظَرَ هَمْلِت إِلى ٱلسَّيْفِ ٱلَّذي في يَدِهِ ، وَقالَ : « سَيْفٌ مَسْمومٌ وَحادٌّ ! وَانْدَفَعَ بِٱلسَّيْفِ ناحيةَ كْلُودْيَس ، وَأَغْمَدَهُ في قَلْبِهِ صائِحًا : « هٰذا هوَ أَفْضَلُ مَكانٍ لِسَيْفٍ مَسْمومٍ . »

بَعْدَئِذٍ أَخَذَ يُراقِبُ كْلُودْيَس وَهوَ يَسْقُطُ ، ثُمَّ يَموتُ .

وَهُنا صَرَخَ لارْتِيس : « مِنَ ٱلعَدْلِ أَنْ يَموتَ ٱلمَلِكُ ، فَهوَ ٱلَّذي أَعَدَّ ٱلسُّمَّ ٱلَّذي ماتَ هوَ بِهِ ! أَرْجو أَنْ تَصْفَحَ عَنّي يا هَمْلِت ، فَلَمْ تَكُنْ أَنْتَ سَبَبَ مَوْتِ أَبي ، أَوْ مَوْتي . »



أَدْرَكَ هَمْلِت أَنَّهُ مَقْضِيٌّ عَلَيْهِ لا مَحالةَ ؛ فالْتَفَتَ إلى أَعَزِّ أَصْدِقائِهِ هُوراشْيُو قائِلًا : « إنَّني أَموتُ يا هُوراشْيُو ! إِحْكِ أَنْتَ لِلْعالَمِ ما حَدَثَ . »

صاحَ هُوراشْيُو : « ما زالَ هُناكَ بَعْضُ آلسُّمِّ في آلكَأْسِ ، فَلْأَمُتْ أنا أَيْضًا . »

وَصَرَخَ هَمْلِت : « لا تَشْرَبْهُ إنْ كُنْتَ تُحِبُّني ! يَجِبُ أَنْ تَعيشَ كَيْ تَحْكيَ قِصَّتي لِلْعالَمِ . وَعِنْدَئِذٍ سَيَعْرِفُ آلنّاسُ آلحَقيقةَ . أَمّا أنا فَسَأَموتُ ، وَأَصْمُتُ ، إلى آلأَبَدِ . »

العاصِفةُ

بْروسْبِرُو وَمِيرانْدا

كانَ يَعيشُ في إيطالْيا دوقٌ اشْتَهَرَ بِٱلحِكْمَةِ اسْمُهُ بْروسْبِرُو . وَقَدْ تَرَكَ شُؤونَ حُكْمِ ٱلبَلَدِ لِأَخيهِ ٱلأَصْغَرِ أَنْطُونْيُو ، ٱلَّذي كانَ مَوْضِعَ ثِقَتِهِ ، وَكَرَّسَ مُعْظَمَ وَقْتِهِ لِقِراءَةِ ٱلكُتُبِ .

لٰكِنَّ أَنْطُونْيُو أَخَذَ يَتَطَلَّعُ إلى أَنْ يُصْبِحَ هوَ ٱلدُّوقَ ٱلحَقيقيَّ ، وَٱلحاكِمَ ٱلفِعْليَّ لِلْبَلَدِ ؛ فَعَزَمَ عَلى أَنْ يَقْتُلَ بْروسْبِرُو لِيَأْخُذَ مَكانَهُ . وَلِذٰلِكَ دَبَّرَ أَنْطُونْيُو مُؤامَرَةً مَعَ مَلِكِ نابُولِي – وَهوَ عَدُوٌّ قَديمٌ لِبْرُوسْبِرُو – وَوَعَدَهُ بِإِعْطائِهِ بَعْضَ ٱلمالِ كُلَّ عامٍ ، إذا ساعَدَهُ عَلى قَتْلِ بْروسْبِرُو .

وَفي لَيْلَةٍ مُظْلِمةٍ ، أَمَرَ أَنْطُونْيُو بِفَتْحِ أَبْوابِ ميلانو ، ٱلمَدينةِ ٱلجَميلةِ ٱلَّتي يَعيشُ فيها بْروسْبِرُو ؛ وَعِنْدَئِذٍ دَخَلَ مَلِكُ نابُولِي بِجَيْشِهِ ، وَقَبَضَ عَلى بْروسْبِرُو وَابْنَتِهِ ٱلصَّغيرةِ مِيرانْدا . وَلَمْ يَجْرُؤْ أَنْطُونْيُو عَلى قَتْلِ بْروسْبِرُو ، لِأَنَّهُ كانَ يَعْلَمُ مَدَى حُبِّ أَهْلِ ميلانو لَهُ ؛ فَأَرادَ أَنْ يَعْتَقِدَ ٱلنَّاسُ أَنَّ بْروسْبِرُو وَمِيرانْدا لَقِيا حَتْفَهُما صُدْفةً . وَلِذٰلِكَ وَضَعَهُما ٱلجُنودُ في سَفينةٍ ، وَعِنْدَما ابْتَعَدَتْ هٰذِهِ ٱلسَّفينةُ عَنِ ٱلشَّاطِئِ ، تَرَكُوهُما في زَوْرَقٍ صَغيرٍ لِيَموتا في عُرْضِ ٱلبَحْرِ .

وَكانَ مَلِكُ نابُولِي قَدْ أَصْدَرَ أَوامِرَهُ لِـغُونْزالُو ، ٱلرَّجُلِ ٱلطَّيِّبِ ٱلقَلْبِ ،

بِتَنْفيذِ هٰذِهِ ٱلمُؤامَرةِ . وَكانَ عَلَيْهِ أَنْ يُطِيعَ ٱلأوامِرَ ، وَلٰكِنَّهُ وَضَعَ في ٱلزَّوْرَقِ طَعامًا وَماءً وَمَلابِسَ وَكُتُبًا .

وَلَمْ تَكُنْ مِيرانْدا قَدْ تَجاوَزَتِ ٱلثّالِثَةَ مِنْ عُمْرِها ، فَلَمْ تُدْرِكِ ٱلخَطَرَ ٱلَّذي تُواجِهُهُ . أَخَذَتْ تَتَكَلَّمُ وَتَضْحَكُ ، فَأَعْطَتْ أَباها أَمَلًا ، وَشَجَّعَتْهُ .

في ٱلنِّهايَةِ ، وَصَلا إلى جَزيرةٍ . وَهُناكَ عاشا اثْنَيْ عَشَرَ عامًا . وَكَبِرَتْ مِيرانْدا ٱلطِّفْلةُ ٱلصَّغيرةُ ، وَصارَتْ شابَّةً جَميلةً .

كالِيبان

عِنْدَما وَصَلَ بْروسْبِرُو وَمِيرانْدا إلى ٱلجَزيرةِ كانَ كالِيبان هوَ ٱلشَّخْصَ ٱلوَحيدَ ٱلَّذي يَعيشُ فيها . وَكانَ أَقْرَبَ إلى ٱلحَيَوانِ مِنْهُ إلى ٱلإِنْسانِ .

أَخَذَ بْروسْبِرُو كالِيبان إلى ٱلكَهْفِ ٱلَّذي يَعيشُ فيهِ مَعَ مِيرانْدا ، وَهُناكَ عَلَّمَهُ كَيْفَ يَتَحَدَّثُ كَإِنْسانٍ . وَحاوَلَ أَنْ يُعامِلَهُ كابْنٍ مِنْ أَبْنائِهِ ، وَلٰكِن كالِيبان لَمْ يَكُنْ طَيِّبًا تَمامًا ، وَلِذٰلِكَ جَعَلَهُ بْروسْبِرُو يَقُومُ عَلى خِدْمَتِهِ . وَكانَ بِٱلجَزيرةِ أَيْضًا جِنِّيٌّ يُدْعَى إيرْيَال ،وَكانَتْ أُمُّ كالِيبان قَدْ سَجَنَتْهُ داخِلَ شَجَرةٍ قَبْلَ أَنْ تَموتَ ، فَقَضَى اثْنَيْ عَشَرَ عامًا داخِلَ ٱلشَّجَرةِ قَبْلَ أَنْ تَطَأَ قَدَمُ بْروسْبِرُو أَرْضَ ٱلجَزيرةِ .

لَقَدْ تَعَلَّمَ بْروسْبِرُو ٱلسِّحْرَ مِنَ ٱلكُتُبِ ٱلَّتي قَرَأَها ؛ فَتَمَكَّنَ مِنْ إطْلاقِ سَراحِ إيرْيَال ٱلجِنِّيِّ ٱلطَّيِّبِ ٱللَّطيفِ ؛ فَوَعَدَ بِخِدْمةِ بْروسْبِرُو ، بِشَرْطِ أَنْ يَمْنَحَهُ ٱلحُرِّيَّةَ فيما بَعْدُ .

كانَ بِمَقْدورِ إيرْيَال أَنْ يُغَيِّرَ هَيْئَتَهُ إلى أَيَّةِ صُورةٍ يُريدُها ، وَأَنْ يَتَحَرَّكَ بِسُرْعةِ ٱلبَرْقِ . وَكانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَخْتَفيَ عَنِ ٱلأَنْظارِ ؛ فَلا يَتَمَكَّنُ أَحَدٌ مِنْ أَنْ يَراهُ سِوَى بْروسْبِرُو .

العاصِـــــفةُ

ذاتَ يَوْمٍ ، بَعْدَ أَنْ قَضَى بْروسْبِرُو بِٱلجَزيرةِ اثْنَيْ عَشَرَ عامًا ، اسْتَخْدَمَ سِحْرَهُ في إثارةِ عاصِفةٍ شَديدةٍ .

رَأَتْ مِيرانْدا سَفينةً تُواجِهُ خَطَرَ ٱلعاصِفةِ ، فَقالَتْ لِأَبيها : «إنْ كُنْتَ قَدِ اسْتَطَعْتَ بِما لَدَيْكَ يا أَبي مِنْ سِحْرٍ أَنْ تُثيرَ هٰذِهِ ٱلعاصِفةَ ٱلمُخيفةَ ، فَلْتُقَدِّمْ يَدَ ٱلعَوْنِ لِلَّذينَ عَلى ظَهْرِ هٰذِهِ ٱلسَّفينَةِ . أُنْظُرْ ! إنَّ ٱلسَّفينةَ سَتَتَحَطَّمُ وَسَيَموتُ كُلُّ مَنْ عَلَيْها .»

قالَ بْروسْبِرُو : «لا تَخافي ! فَقَدْ رَتَّبْتُ ٱلأَمْرَ بِحَيْثُ لا يُصابُ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِأَذًى .»

وَكانَ عَلى ٱلسَّفينةِ : أَنْطُونْيو وَمَلِكُ نابُولِي ، وَكَذٰلِكَ غُونْزالُو ٱلَّذي وَضَعَ ٱلطَّعامَ وَٱلمَلابِسَ وَٱلكُتُبَ في زَوْرَقِ بْروسْبِرُو .

وَكانَ عَلى ظَهْرِ ٱلسَّفينةِ أَيْضًا فِرْدِينانْد ابْنُ ٱلمَلِكِ ، وَسِيباسْتِيان شَقيقُ ٱلمَلِكِ .

قالَ بْروسْبِرُو : «لَقَدْ فَعَلْتُ هٰـذا كُلَّهُ مِنْ أَجْلِكِ يا مِيرانْدا . هَلْ تَذْكُرينَ كَيْفَ جِئْتِ إلى هٰـذِهِ ٱلجَزيرةِ ؟»

لٰكِنَّ مِيرانْدا لَمْ تَكُنْ تَذْكُرُ كَيْفَ وَصَلَتْ مَعَ أَبيها إِلى ٱلْجَزيرةِ .

قالَ : «لَقَدْ حانَ ٱلوَقْتُ لِأُخْبِرَكِ بِما حَدَثَ . »

أَخْبَرَها كَيْفَ اسْتَوْلَى أَنْطُونْيُو عَلى مُلْكِهِ ، وَكَيْفَ تُرِكا في ٱلزَّوْرَقِ في عُرْضِ ٱلبَحْرِ .

«وَٱلآنَ ، لَقَدْ جاءَ أَعْدائي إِلى ٱلْجَزيرةِ ، وَهٰذا هُوَ سَبَبُ إِثارَتي هٰذِهِ ٱلعاصِفةَ . »

ابْنُ ٱلمَلِكِ

اسْتَخْدَمَ بْروسْبِرُو سِحْرَهُ في تَنْويمِ ابْنَتِهِ نَوْمًا عَميقًا ، ثُمَّ دَعا إِيرْيَال وَسَأَلَهُ : « هَلْ نَفَّذْتَ كُلَّ ما أَمَرْتُكَ بِهِ ؟ »

أَجابَ إِيرْيَال : « نَعَمْ يا سَيِّدي ! فَقَدْ دَخَلْتُ ٱلسَّفينةَ ، وَأَشْعَلْتُ ٱلنِّيرانَ في كُلِّ جَوانِبِها لِأَبُثَّ ٱلخَوْفَ في قُلوبِ مَنْ فيها ؛ فَغادَروها ، وَقَفَزَ فِرْدِينانْد إِلى ٱلبَحْرِ . »

سَأَلَهُ بْروسْبِرُو : « هَلْ جَميعُهُمْ بِخَيْرٍ ؟ »

أَجابَ إِيرْيَال : « نَعَمْ . وَقَدْ أَرْشَدْتُ فِرْدِينانْد – ابْنَ ٱلمَلِكِ – إِلى مِنْطَقةٍ بَعيدةٍ في ٱلْجَزيرةِ ، وَهوَ يَجْلِسُ هُناكَ ٱلآنَ وَحيدًا يَبْكي ، مُعْتَقِدًا أَنَّ والِدَهُ قَدْ ماتَ . وَقَدْ سَحَبْتُ ٱلسَّفينةَ إِلى خَليجٍ هادِئٍ آمِنٍ ، بَعْدَ أَنْ أَطْفَأْتُ ٱلنِّيرانَ ٱلَّتي أَشْعَلْتُها فيها ، ثُمَّ جَعَلْتُ كُلَّ ٱلبَحّارةِ يَغِطُّونَ في ٱلنَّوْمِ . »

قالَ بْروسْبِرُو : «أَحْسَنْتَ يا إيرْيَال ! وَلٰكِنْ أَمامَكَ ٱلآنَ مُهِمَّةٌ أَكْبَرُ . »
وَهَمَسَ في أُذُنِهِ بِأَمْرٍ جَديدٍ .

عِنْدَئِذٍ ، طارَ إيرْيَال إلى فِرْدِينانْد ، فَوَجَدَهُ لايَزالُ جالِسًا عَلى ٱلحَشائِشِ فَبَدَأَ إيرْيَال يُغَنِّي .

تَساءَلَ فِرْدِيناند : «مِنْ أَيْنَ تَأْتي هٰذِهِ ٱلمُوسِيقَى ؟ هَلْ تَنْبَعِثُ مِنَ ٱلأَرْضِ أَمْ مِنَ ٱلسَّماءِ ؟ فَلأَتْبَعْها . لَقَدْ تَوَقَّفَتِ ٱلآنَ ! هاهِيَ ذي تَعودُ ! إنَّها تَدْفَعُني لِلسَّيْرِ إلى ٱلأَمامِ . »

وَجَّهَ إيرْيَال فِرْدِيناند إلى ٱلمَكانِ ٱلَّذي يَجْلِسُ فيهِ بْروسْبِرُو مَعَ ابْنَتِهِ . قالَ بْروسْبِرُو لَها : «أُنْظُري يا مِيرانْدا ! ماذا تَرَيْنَ هُناكَ ؟ »

لَمْ تَكُنْ مِيرانْدا قَدْ رَأَتْ رَجُلًا آخَرَ سِوَى والِدِها وَكالِيبان . وَلِذٰلِكَ عِنْدَما رَأَتْ ذٰلِكَ ٱلشَّابَّ ٱلوَسيمَ سَأَلَتْ : «ما هٰذا ؟ هَلْ هوَ روحٌ ؟ إنَّهُ جَميلٌ لِلْغايَةِ ؟ »

قالَ لَها أَبوها : «إنَّهُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَنامُ مِثْلَنا . إنَّهُ إنْسانٌ ، وَقَدْ كانَ عَلى ظَهْرِ ٱلسَّفينَةِ . »

رَأَى فِرْدِيناند مِيرانْدا فَقالَ في نَفْسِهِ : «إذًا هٰذِهِ جَزيرةٌ مَسْحورةٌ ، وَهاهِيَ ذي صاحِبَةُ ٱلمُوسيقَى . » ثُمَّ سَأَلَها : «أَيَّتُها ٱلمَخْلوقةُ ٱلَّتي تُثيرُ في نَفْسي ٱلدَّهْشَةَ ! أَفَتاةٌ أَنْتِ أَمْ ماذا ؟ »

أَجابَتْهُ مِيرانْدا : «لَسْتُ شَيْئًا عَجيبًا يا سَيِّدي ؛ فَأَنا فَتاةٌ . »

قالَ لَها : «إنَّكِ تَتَكَلَّمينَ ، كَما تَتَكَلَّمُ في نابُولِي . إنَّني مِنْ مَدينةِ نابُولِي ، وَوالِدي مَلِكُها ؛ وَلَمْ أَرَهُ مُنْذُ أنِ احْتَرَقَتِ ٱلسَّفينةُ . »

فِرْدِينانْد وَمِيرانْدا

شَعَرَ بْرُوسْبِرُو بِٱلسُّرورِ ، لِأَنَّ ٱلحُبَّ بَدَأَ يَجْمَعُ بَيْنَ فِرْدِينانْد وَمِيرانْدا بِسُرْعةٍ . وَلٰكِنَّهُ رَأى مِنَ ٱلحِكْمةِ أَلَّا يَجِدا كُلَّ شَيْءٍ مُيَسَّرًا .

أَرادَ أَنْ يَتأَكَّدَ مِنْ أَنَّهُما مُتَحابَّانِ حَقًّا . وَلِهٰذا بَدَأَ يَتَحَدَّثُ إلى فِرْدِينانْد بِجَفاءٍ ، فَسَأَلَهُ : «لِماذا أَتَيْتَ إلى هٰذِهِ ٱلجَزيرةِ سِرًّا ؟ هَلْ وَضَعْتَ خُطَّةً لِلاِسْتيلاءِ عَلَيْها ؟ هَيَّا مَعي .. فَسَوْفَ أَرْبُطُ عُنُقَكَ وَقَدَمَيْكَ مَعًا ، وَستَشْرَبُ ماءَ ٱلبَحْرِ ، وَتأْكُلُ طَعامَ ٱلحَيَواناتِ . »

رَدَّ عَلَيْهِ فِرْدِينانْد مُشْهِرًا سَيْفَهُ : «لَنْ أَذْهَبَ مَعَكَ . »

وَعِنْدَئِذٍ أَشَلَّ بْرُوسْبِرُو بِسِحْرِهِ حَرَكةَ ٱلأَميرِ فِرْدِينانْد .

صاحَتْ مِيرانْدا : «لِماذا تَقْسو عَلَيْهِ يا أَبي ؟ يَبْدو عَلَيْهِ أَنَّهُ رَجُلٌ طَيِّبٌ . »

قالَ بْرُوسْبِرُو : «أُصْمُتي ، يا بُنَيَّةُ . وَإذا تَفَوَّهْتِ بِكَلِمةٍ أُخْرَى ، فَسَيَكونُ غَضَبي مِنْكِ شَديدًا . إنَّكِ لَمْ تَرَيْ مِنَ ٱلرِّجالِ سِوَى اثْنَيْنِ : هٰذا ٱلشَّابٌّ ، وَكالِيبان . وَمُعْظَمُ ٱلرِّجالِ أَفْضَلُ مِنْ هٰذا ٱلشَّابِّ كَثيرًا . »

صاحَتْ مِيرانْدا : «لا أُريدُ أَنْ أَرَى أَفْضَلَ مِنْهُ . »

قالَ بْرُوسْبِرُو : «تَعالَ ، أَيُّها ٱلشَّابُّ ، اِتْبَعْني ، فَإنَّكَ لا تَمْلِكُ سِوَى أَنْ

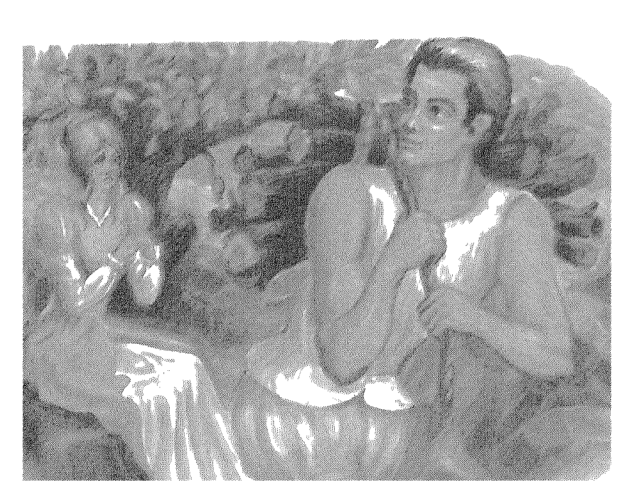
تُنَفِّذَ ما آمُرُكَ بِهِ . »

قالَ فِرْدِيناند في نَفْسِهِ : « إِنَّني مُجْبَرٌ عَلى أَنْ أَتْبَعَهُ ؛ فَأَنا أَسيرُ كَما لَوْ كُنْتُ في حُلْمٍ . وَلٰكِنَّ وَطْأَةَ ضَعْفي وَقَسْوَةَ كَلامِهِ سَتَبْدُوانِ هَيِّنَتَيْنِ عَلى نَفْسي ، ما دُمْتُ سَأَرى هٰذِهِ ٱلْفَتاةَ ٱلْجَميلَةَ كُلَّ يَوْمٍ . »

قالَتْ ميراندا لِفِرْدِيناند : « إِنَّ أَبي أَكْثَرُ حَنانًا مِمّا يَبْدو ، وَإِنَّهُ لَأَمْرٌ غَريبٌ جِدًّا أَنْ يُعامِلَكَ بِهٰذِهِ ٱلْقَسْوَةِ . »

هَلْ تُحِبُّني ؟

اسْتَمَرَّ بْروسْبِرو في مُعامَلَةِ فِرْدِيناند بِقَسْوَةٍ ، فَجَعَلَهُ يَحْمِلُ قِطَعًا ثَقيلَةً مِنَ



آلخَشَبِ وَيُرَتِّبُها ، كَما يَفْعَلُ كاليبان تَمامًا .

وَوَجَدَ فِرْدِينانْد مُتْعةً في هٰذا آلعَمَلِ ، لِأَنَّهُ كانَ يَشْعُرُ أَنَّهُ يَخْدُمُ مِيرانْدا ، وَلٰكِنَّ مِيرانْدا كانَتْ تَبْكي كُلَّما رَأَتْهُ .

قالَتْ لَهُ مَرَّةً : « أَرْجوكَ أَلَّا تُرْهِقَ نَفْسَكَ . خُذْ قِسْطًا مِنَ آلرَّاحَةِ ؛ فَإِنَّ أَبي سَيَقْرَأُ كُتُبَهُ طَوالَ آلسَّاعاتِ آلثَّلاثِ آلقادِمَةِ . »

قالَ فِرْدِينانْد : « يا سَيِّدَتي آلعَزيزَةَ ، إِنَّني لاأَجْرُؤُ عَلى ذٰلِكَ ! وَيَنْبَغي أَنْ أَنْتَهِيَ مِنْ عَمَلي قَبْلَ أَنْ أَخْلُدَ إِلى آلرَّاحَةِ . »

قالَتْ : « فَلْتَجْلِسْ أَنْتَ ، وَسَأَحْمِلُ أَنا آلخَشَبَ بَدَلًا مِنْكَ حَتَّى تَسْتَريحَ . »

لٰكِنَّ فِرْدِينانْد أَبى أَنْ تُعاوِنَهُ ، وَقالَ لَها : « إِنَّني أُفَضِّلُ أَنْ أَكْسِرَ ظَهْري ، عَلى أَنْ أَتَكاسَلَ وَأَجْعَلَكِ تَقومينَ بِعَمَلي . فَحينَما أَكونُ قَريبًا مِنْكِ ، لا أَشْعُرُ بِآلتَّعَبِ . أَخْبِريني ما اسْمُكِ ؟ »

أَجابَتْ : « اسْمي مِيرانْدا . » ثُمَّ تَوَقَّفَتْ قائِلَةً : « آهٍ يا والِدي ! لَقَدْ وَعَدْتُكَ بِأَلَّا أُخْبِرَ أَحَدًا بِاسْمي ! »

قالَ فِرْدِينانْد : « لَقَدْ شَعَرْتُ بِآلمَيْلِ نَحْوَ فَتَياتٍ كَثيراتٍ لِأَسْبابٍ عَديدَةٍ ، وَلٰكِنَّني لَمْ أَجِدْ في أَيَّةِ فَتاةٍ مِنْهُنَّ ما يَجْعَلُني أُحِبُّها بِصِدْقٍ . وَلٰكِنَّكِ يا مِيرانْدا جَمَعْتِ وَحْدَكِ أَجْمَلَ صِفاتِ آلفَتَياتِ كُلِّهِنَّ . »

قالَتْ مِيرانْدا : «إنَّني لَمْ أَرَ أَيَّةَ فَتاةٍ أُخْرَى ، أَوْ أَيَّ رَجُلٍ آخَرَ ، وَلا أُريدُ أَيَّ رَجُلٍ آخَرَ سِواكَ ؛ بَلْ إنَّني لا أُفَكِّرُ في أَحَدٍ غَيْرِكَ .»

كانَ بْروسْبِرُو يُراقِبُ ، وَيَسْمَعُ طَوالَ ٱلوَقْتِ . فَلَمْ يَكُنْ مَشْغولًا بِٱلقِراءَةِ ، وَإِنَّما كانَ واقِفًا بِٱلقُرْبِ مِنْهُما ، وَسَعِدَ بِكُلِّ ما سَمِعَهُ . بِٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّ مِيرانْدا قَدْ حَنِثَتْ بِوَعْدِها لَهُ .

لَقَدْ تَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ مِيرانْدا وَفِرْدِينانْد يُحِبُّ كُلٌّ مِنْهُما ٱلآخَرَ حُبًّا عَميقًا ، وَقالَ في نَفْسِهِ : «إنَّ هٰذا يَسيرُ تَمامًا كَما أُريدُ ، وَسَتُصْبِحُ ٱبْنَتي مَلِكَةَ نابُولِي .»

قالَ فِرْدِينانْد لِمِيرانْدا : «إنَّني أَميرٌ ، وَأَظُنُّ أَنَّني ٱلآنَ أَصْبَحْتُ مَلِكًا ! فَعِنْدَما رَأَيْتُكِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ اسْتَوْلَيْتِ عَلى قَلْبي .»

سَأَلَتْهُ مِيرانْدا : «هَلْ تُحِبُّني ؟»

أَجابَ : «إنَّني أُحِبُّكِ وَأُقَدِّرُكِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ في هٰذا ٱلعالَمِ .»

قالَتْ : «يا لَغَبائي عِنْدَما أَبْكي مِنَ ٱلفَرْحَةِ . إنَّني لَكَ إنْ أَرَدْتَ أَنْ تَتَزَوَّجَني .»

قالَ : «يا أَعَزَّ ٱلنَّاسِ عِنْدي ، هَاهِيَ ذي يَدي .»

قالَتْ : «وَهاهِيَ ذي يَدي ، وَهاهُوَ ذا قَلْبي مَعَها .»

جاءَ بْروسْبِرُو إلى فِرْدِينانْد قائِلًا : «لَقَدْ كُنْتُ قاسِيًا عَلَيْكَ ، وَلٰكِنَّ ذٰلِكَ كانَ اخْتِبارًا لِمَدَى حُبِّكَ لِمِيرانْدا . وَٱلآنَ أُوافِقُ عَلى أَنْ تَتَزَوَّجَ ابْنَتي ، وَهيَ

حَياتي ٱلَّتي كُنْتُ أَعيشُ مِنْ أَجْلِها . فَيُمْكِنُكَ – ٱلآنَ – أَنْ تَتَزَوَّجَها . »

مَلِكُ نابُولي في خَطَرٍ

بَحَثَ مَلِكُ نابُولي عَنْ ابْنِهِ في ناحيةٍ أُخْرَى مِنْ نَواحي ٱلجَزيرةِ ، وَكانَ بِصُحْبَتِهِ ٱلرَّجُلُ ٱلطَّيِّبُ ٱلعَجوزُ غُونْزالُو .

وَنامَ ٱلِاثْنانِ . أَمَّا أَنْطُونْيُو وَسِيْباسْتِيان أَخو ٱلمَلِكِ فَجَلَسا يَقِظَيْنِ .

قالَ أَنْطُونْيُو لسِيْباسْتِيان : « لَوْ كانَ ٱلمَلِكُ مَيِّتًا ، بَدَلًا مِنْ أَنْ يَكونَ نائِمًا ، لَأَصْبَحْتُ مَلِكًا ياسِيْباسْتِيان . هَلْ تَفْهَمُني ؟ »

قالَ لَهُ : « نَعَمْ ، أَظُنُّ ذٰلِكَ . فَإِنَّني أَذْكُرُ أَنَّكَ أَخَذْتَ مَكانَ أَخيكَ بْروسْبِرُو . »

قالَ أَنْطُونْيُو : « هٰذا صَحيحٌ ، وَلْتَنْظُرْ كَمْ أَنا جَديرٌ بِهٰذا ٱلمَنْصِبِ . إِنَّني سَعيدٌ . اُقْتُلْ أَنْتَ غُونْزالُو ، وَسَأَقْتُلُ أَنا ٱلمَلِكَ . »

سَحَبَ ٱلرَّجُلانِ سَيْفَيْهِما ، وَاسْتَعَدَّا لِقَتْلِ ٱلمَلِكِ وَغُونْزالُو ، غَيْرَ أَنَّ إِيرْيَال جاءَ وَأَيْقَظَ ٱلمَلِكَ وَغُونْزالُو .

عِنْدَما اسْتَيْقَظَ ٱلمَلِكُ سَأَلَ أَنْطُونْيُو وَسِيْباسْتِيان : « لِماذا اسْتَلَّ كُلٌّ مِنْكُما سَيْفَهُ ؟ لِماذا تَبْدوانِ بِهٰذِهِ ٱلصُّورةِ ٱلغَرِيبَةِ ؟ »

صاحَ غُونْزالُو : « ما ٱلأَمْرُ ؟ »

أَجابَ سِيْباسْتِيان : « لَقَدْ سَمِعْنا صَوْتًا ، مِثْلَ صَوْتِ وَحْشٍ . »

أَضافَ أَنْطُونْيُو : « نَعَمْ . فَقَدْ كانَ صَوْتًا مُخيفًا صادِرًا عَنْ كَثيرٍ مِن آلحَيَواناتِ آلخَطِرةِ . »

قالَ آلمَلِكُ : « إِنَّني لَمْ أَسْمَعْ شَيْئًا . » وَسَأَلَ غُونْزالُو : « هَلْ سَمِعْتَ هٰـذِهِ آلأَصْواتَ ياغُونْزالُو ؟ »

أَجابَ آلرَّجُلُ آلعَجوزُ آلنَّبيلُ غُونْزالُو : « إِنَّ صَوْتًا غَريبًا قَدْ أَيْقَظَني . وَإِنَّني أَدْعو آللهَ أَنْ يُبْعِدَ هٰـذِهِ آلحَيَواناتِ عَنْ فِرْدِيناند ، وَأَنْ يَحْفَظَهُ سالِمًا . »

كانَ كُلٌّ مِنَ آلمَلِكِ وَغُونْزالُو عَلى يَقينٍ مِنْ أَنَّ فِرْدِيناند لا يَزالُ في آلجَزيرةِ ؛ وَلِهٰـذا واصَلا آلبَحْثَ عَنْهُ ، وَتَبِعَهُما أَنْطُونْيُو وَسِيباسْتِيان .

بَعْدَ فَتْرةٍ قالَ غُونْزالُو : « لا يُمْكِنُني أَنْ أَمْشِيَ أَكْثَرَ مِنْ هٰـذا ، وَلِهٰـذا يَنْبَغي أَنْ أَسْتَريحَ هُنا . »

قالَ آلمَلِكُ : « اِجْلِسْ ، وَاسْتَرِحْ . يَنْبَغي أَلّا أُمَنِّيَ نَفْسي بِآلأَمَلِ في أَنَّ ابْني ما زالَ حَيًّا . »

نَظَرَ أَنْطُونْيُو إِلى سِيباسْتِيان وَقالَ : « إِنَّني مَسْرورٌ ، لِأَنَّهُ فَقَدَ آلأَمَلَ في آلعُثورِ عَلى ابْنِهِ . وَسَنُحاوِلُ مَرَّةً أُخْرى . »

قالَ سِيباسْتِيان : « سَنَغْتَنِمُ آلفُرْصَةَ آلقادِمَةَ . »

قالَ أَنْطُونْيُو : « فَلْيَكُنْ ذٰلِكَ آللَّيْلَةَ . »

رَدَّ سِيباسْتِيان : « نَعَمْ ، آللَّيْلَةَ ! »

سَمِعَ ٱلمَلِكُ وَأَصْدِقاؤُهُ مُوسِيقَى ، ثُمَّ مَدَّتْ أَشْباحٌ غَرِيبَةٌ مائِدَةً عامِرَةً بِٱلطَّعامِ ؛ وَراحَتْ تِلْكَ ٱلأَشْباحُ ٱلغَرِيبةُ تَرْقُصُ ، ثُمَّ ٱخْتَفَتْ فَجْأَةً .

قالَ أَنطونْيو : « الآنَ أُصَدِّقُ كُلَّ ٱلقِصَصِ ٱلغَرِيبةِ ٱلَّتي يَرْوِيها أُولَئِكَ ٱلَّذينَ يُسافِرونَ إلى مَناطِقَ بَعيدةٍ . »

قالَ غُونْزالُو : « لَنْ يُصَدِّقَني أَحَدٌ في نابُولِي حينَ أَحْكي لَهُمْ ما رَأَيْناهُ ، وَأَنَّ هٰذِهِ ٱلأَشْباحَ ٱلغَرِيبةَ تَبْدو أَكْثَرَ كَرَمًا وَلُطْفًا مِنَ ٱلبَشَرِ . وَإِنَّها قَدْ تَرَكَتْنا بِطَريقةٍ تَدْعو إلى ٱلدَّهْشةِ . »

قالَ سِيْباسْتِيان : « هٰذا لا يُهِمُّ ، وَلٰكِنَّ ٱلمُهِمَّ أَنَّ ٱلأَشْباحَ تَرَكَتْ طَعامَها هُنا ، وَقَدْ بَلَغَ بِنا ٱلجُوعُ أَشُدَّهُ . »

وَما إِنْ مَدَّ ٱلمَلِكُ وَأَصْحابُهُ أَيْدِيَهُمْ إلى ٱلطَّعامِ حَتَّى ظَهَرَ إيرْيَال ، وَكانَ قَدْ غَيَّرَ هَيْئَتَهُ إلى شَكْلٍ في غايةِ ٱلغَرابةِ : كانَ لَهُ وَجْهُ وَجِسْمُ ٱمْرَأةٍ ، وَجَناحا وَقَدَما طائِرٍ . وَعِنْدَما حَرَّكَ جَناحَيْهِ ، طارَ ٱلطَّعامُ كُلُّهُ في ٱلهَواءِ بَعيدًا عَنْهُمْ ، وَقالَ لَهُمْ : « إِنَّكُمْ لا تَصْلُحونَ لِلْعَيْشِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ، فَقَدْ قَذَفَتْ بِكُمُ ٱلعاصِفةُ إلى هٰذِهِ ٱلجَزيرةِ . إِنَّ أَمْثالَكُمْ مِنَ ٱلرِّجالِ يَشْنُقونَ أَوْ يَقْتُلونَ أَنْفُسَهُمْ . فَأَنْتُمْ لا تَسْتَحِقُّونَ ٱلحَياةَ ! »

اِسْتَلَّ ٱلرِّجالُ ٱلثَّلاثةُ سُيوفَهُمْ ، وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطيعوا ٱلحَرَكةَ ، إِذْ إِنَّ بْروسْبِرُو أَوْقَفَهُمْ بِسِحْرِهِ .

عِنْدَئِذٍ صاحَ فيهِمْ إيرْيَال : «أيُّها ٱلحَمْقَى ! ، إنَّكُمْ لا تَسْتَطيعونَ إيذاءَنا بِسُيوفِكُمْ . وَتَذَكَّروا أنَّكُمْ وَضَعْتُم بْروسْبِرُو وَابْنَتَهُ ٱلصَّغيرةَ في قارِبٍ صَغيرٍ ، وَتَرَكْتُموهُما في عُرْضِ ٱلبَحْرِ لِيَمُوتا .

«إنَّ ٱلبَحْرَ وَٱلأَرْضَ ، وَحَتَّى ٱلحَيَواناتِ غاضِبةٌ مِنْكُمْ بِسَبَبِ ما ٱقْتَرَفْتُمْ . إنَّ ٱلأَميرَ فِرْدِيْنانْد بَعيدٌ عَنْكُمْ ، وَسَوْفَ تُعانُونَ ٱلأَمَرَّيْنِ في هٰذِهِ ٱلجَزيرةِ ٱلمَسْحورةِ حَتَّى تَطْلُبُوا ٱلصَّفْحَ . »

بْروسْبِرُو يَعْفو عَنْ أعْدائِهِ

عَجَزَ ٱلمَلِكُ وَأَنْطُونْيُو وَسِيْباسْتِيان عَنِ ٱلخُروجِ مِنَ ٱلغابةِ ، وَكانَ إيرْيَال يُراقِبُهُمْ وَعِنْدَما عادَ إلى بْروسْبِرُو أَخْبَرَهُ أنَّ ٱلثَّلاثةَ يَطْلُبونَ ٱلعَفْوَ عَمَّا بَدَرَ مِنْهُمْ . وَقالَ لَهُ : «إنَّكَ حينَ تَراهُمُ ٱلآنَ ، سَتَشْعُرُ بِٱلأَسَى لِسوءِ حالِهِمْ ، وَسَتَعْفو عَنْهُمْ . »

قالَ بْروسْبِرُو : «إذا كانَ جِنِّيٌّ مِثْلُكَ يَشْعُرُ بِٱلأَسَى لِما أَصابَهُمْ ، فَجَديرٌ بِإنْسانٍ مِثْلي أَنْ يُحِسَّ بِذٰلِكَ . أَحْضِرْهُمْ إلى هُنا . »

وَسَرْعانَ ما عادَ إيرْيَال بِٱلمَلِكِ وَأَنْطُونْيُو وسِيْباسْتِيان وَغُونْزالُو ، وَوَضَعَهُمْ داخِلَ ٱلدَّائِرةِ ٱلَّتي كانَ بْروسْبِرُو قَدْ رَسَمَها عَلى ٱلأَرْضِ ، وَجَلَسوا داخِلَها في سُكونٍ وَصَمْتٍ ؛ فَقَدْ كانوا تَحْتَ تَأْثيرِ سِحْرِ بْروسْبِرُو .

ٱلْتَفَتَ بْروسْبِرُو إلى مَلِكِ نابُولِي وَسِيْباسْتِيان أَخيهِ وَذَكَّرَهُما بِتَرْكِهِما لَهُ



وَلِابْنَتِهِ لِيَموتا في ٱلبَحْرِ . ثُمَّ كَلَّمَ أَخاهُ أَنْطُونْيُو ٱلَّذي اسْتَوْلَى عَلى مُلْكِهِ ، وَتآمَرَ في ٱلجَزيرةِ مَعَ سِيباسْتيان عَلى قَتْلِ مَلِكِ نابُولي .

وَقَدْ لاحَظَ بْروسْبِرُو أَنَّهُمْ لَمْ يَتَعَرَّفوا عَلَيْهِ ؛ لِذا طَلَبَ مِنْ إيرْيَال أَنْ يُحْضِرَ لَهُ ٱلمَلابِسَ ٱلَّتي كانَ يَرْتَديها وَهُوَ دُوقُ مِيلانو . وَعِنْدَما ارْتَداها قالَ لَهُمْ : «إنَّني بْروسْبِرُو دُوقُ مِيلانو ، وَإنَّني سَعيدٌ بِرُؤْيَتِكُمْ جَميعًا هُنا .»

طَلَبَ مَلِكُ نابُولي مِنْ بْروسْبِرُو أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ ، فَعَفا عَنِ ٱلجَميعِ ، حَتّى عَنْ أَخيهِ أَنْطُونْيُو ، وَلٰكِنَّهُ قالَ لَهُ : «لَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ ، غَيْرَ أَنَّهُ يَنْبَغي عَلَيْكَ أَنْ تُعيدَ لي مُلْكي .»

وَوَعَدَ مَلِكُ نابُولي بْروسْبِرُو بِأَنَّهُ سَيَتَأَكَّدُ بِنَفْسِهِ أَنَّ ذٰلِكَ سَيُنَفَّذُ . وَهُنا قالَ لَهُ بْروسْبِرُو : «ما دُمْتَ أَنَّكَ سَتُعيدُ إلَيَّ مُلْكي ، فَسَأُقَدِّمُ لَكَ ما يُسْعِدُكَ .»

آخِرُ أَمْرٍ يُوَجَّهُ إلى إيرْيَال

اِصْطَحَبَ بْروسْبِرُو ٱلمَلِكَ وَأَصْدِقاءَهُ إلى ٱلكَهْفِ ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَنْظُروا داخِلَهُ . وَهُناكَ رَأى ٱلمَلِكُ ابْنَهُ فِرْدِينانْد ، ٱلَّذي ظَنَّ أَنَّهُ ماتَ ، يَتَحَدَّثُ مَعَ مِيرانْدا في سَعادةٍ ؛ فَسَأَلَ ابْنَهُ : «مَنْ هٰذِهِ ٱلفَتاةُ ؟ أَهِيَ حُورِيَّةٌ ؟»

أَجابَ فِرْدِينانْد : «لا ، يا أَبي إنَّها فَتاةٌ مِنْ بَني ٱلبَشَرِ ، وَقَدْ طَلَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَها ، وَقَدْ وافَقَتْ . إنَّها مِيرانْدا ابْنَةُ بْروسْبِرُو ٱلَّذي كانَ مِثْلَكَ يا أَبي في طِيبَتِهِ وَحَنانِهِ .»

قالَ ٱلمَلِكُ : «وَأَنا سَأَكونُ كَوالِدٍ لِميراندا .»

ذَهَبَ إيرْيَال إلى سَفينةِ ٱلمَلِكِ ، وَأَيْقَظَ جَميعَ ٱلبَحّارةِ ٱلنّائِمينَ ، وَأَحْضَرَهُمْ إلى كَهْفِ بْروسْبِرُو . وَأَخْبَرَ ٱلبَحّارةُ ٱلمَلِكَ أَنَّ سَفينَتَهُمْ في أَمانٍ وَهِيَ بِٱلقُرْبِ مِنَ ٱلشّاطِئِ ، وَأَنَّها مُجَهَّزَةٌ لِلإِبْحارِ في طَريقِ ٱلعَوْدةِ إلى نابُولي .

قالَ بْروسْبِرُو : «سَأَصْحَبُكُمْ في ٱلصَّباحِ إلى سَفينَتِكُمْ ، ثُمَّ نُبْحِرُ إلى نابُولي . وَهُناكَ آمُلُ أَنْ أَشْهَدَ زَواجَ فِرْدِيناند وَميراندا . وَبَعْدَ زَواجِهِما سَأَعودُ إلى مِيلانو .»

قَبْلَ أَنْ يُغادِرَ بْروسْبِرُو ٱلجَزيرةَ ، أَطْلَقَ سَراحَ إيرْيَال ، وَقالَ لَهُ : «يا صَغيري إيرْيَال ، أَرْسِلِ ٱلرِّياحَ ٱلطَّيِّبَةَ ٱلَّتي تَحْمِلُ ٱلسَّفينةَ عَلى جَناحِ ٱلسُّرْعةِ إلى أَرْضِ ٱلوَطَنِ ، وَهٰذا آخِرُ أَمْرٍ أُوَجِّهُهُ إِلَيْكَ .»

يُولْيُوس قَيْصَر

أنا قَيْصَــــر

مُنْذَ حَوالَى أَلْفَيْ عامٍ ، كانَ يَحْكُمُ مَدينةَ روما رَجُلٌ عَظيمٌ يُدْعَى يُولْيُوس قَيْصَر . وَقَدِ آتَّسَمَ حُكْمُهُ لِروما بِآلحِكْمةِ ، وَلٰكِنَّ آلغُرورَ راحَ يَتَمَلَّكُهُ .

كانَتْ في يَدِهِ سُلُطاتٌ واسِعةٌ ، وَلٰكِنَّهُ شَرَعَ يَتَطَلَّعُ إلى آلمَزيدِ مِنْ هٰذِهِ آلسُّلُطاتِ ، حَتَّى آعْتَقَدَ آلكَثيرونَ أَنَّهُ يُريدُ أَنْ يُصْبِحَ مَلِكًا . وَقَدْ عَرَضَ عَلَيْهِ أَهْلُ رُوما آلتَّاجَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، لٰكِنَّهُ كانَ يَرْفُضُ في كُلِّ مَرَّةٍ .

رَأَى آلقَليلُ أَنَّ لَهُ مِنَ آلسُّلُطاتِ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْبَغي ، حَتَّى إنَّ كاسْيَس ، أَحَدَ رِجالِ روما آلبارِزينَ ، قالَ : « إنَّنا جَميعًا رِجالٌ أَحْرارٌ ، فَقَدْ وَلَدَتْنا أُمَّهاتُنا أَحْرارًا . وَلي نَفْسُ آلحُرِّيَّةِ آلَّتي لِقَيْصَر ، وَلِذا يَنْبَغي أَلَّا يُصْبِحَ مَلِكًا أَوْ إلَهًا . إنَّهُ مُجَرَّدُ إنْسانٍ مِثْلي ، فَلِماذا يَجْعَلُهُ أَهْلُ رُوما يَتَصَرَّفُ تَصَرُّفَ آلآلِهةِ ؟! »

كانَ بْروتَس صَديقًا لِقَيْصَر ، وَلٰكِنَّهُ كانَ أَيْضًا مُنْزَعِجًا لِما يَحْدُثُ لِقَيْصَر ، وَلِهٰذا قالَ : « يُؤْسِفُني أَنَّ آلنَّاسَ تُريدُ أَنْ يَكونَ قَيْصَرُ مَلِكًا ، وَأَنا أُحِبُّ قَيْصَرَ ، وَلٰكِنْ لا أُريدُهُ مَلِكًا . »

تَذَكَّر كاسْيَس أَنَّهُ كانَ يَخوضُ يَوْمًا ماءَ آلنَّهْرِ مَعَ قَيْصَر لِيَعْبُراهُ فَقالَ : « عِنْدَما حَمَلَ تَيَّارُ آلماءِ قَيْصَرَ بَعيدًا عَنِ آلشَّاطِئِ ، صاحَ طالِبًا آلنَّجْدةَ مِنِّي . وَمَرَّةً أُخْرَى كانَ مَريضًا ، فَصَرَخَ طالِبًا آلماءَ وَكَأَنَّهُ فَتاةٌ مَريضةٌ . إنَّ قَيْصَرَ لَيْسَ إلٰهًا ؛ إنَّهُ إنْسانٌ مِثْلُنا جَميعًا . »

كانَ مارْك أُنطُونْيُو أَقْرَبَ صَديقٍ لِقَيْصَرَ ، وَكانَ قَيْصَرَ يَثِقُ بِهِ أَكْثَرَ مِنْ ثِقَتِهِ بِأَيِّ إِنْسانٍ آخَرَ .

وَعِنْدَما رَأى قَيْصَرَ كاسْيَس يَتَحَدَّثُ إِلى بْرُوتَس قالَ : «إِنَّني أُريدُ رِجالًا ذَوي أَجْسامٍ مُمْتَلِئَةٍ يَلْتَفُّونَ حَوْلي . إِنَّ كاسْيَس نَحيفٌ ، وَهُوَ يَبْدو كَإِنْسانٍ جائِعٍ . إِنَّهُ كَثيرُ ٱلتَّفْكيرِ . وَأَمْثالُ هٰذا ٱلرَّجُلِ خَطِرونَ . »

قالَ لَهُ أَنطُونْيُو : «لا تَخَفْ مِنْهُ ، فَهُوَ لَيْسَ خَطِرًا . »

قالَ قَيْصَرَ : «أَتَمَنَّى لَوْ كانَ أَكْثَرَ بَدانَةً . إِنَّني لَسْتُ خائِفًا ، وَلٰكِنَّني أَتَجَنَّبُهُ . إِنَّهُ نَهِمٌ في ٱلْقِراءَةِ ، يُراقِبُ ٱلآخَرينَ ، وَلا يَضْحَكُ أَبَدًا . إِنَّ مِثْلَ هٰذا ٱلرَّجُلِ لا يَشْعُرُ بِأَيَّةِ سَعادَةٍ ، حينَما يَجِدُ رَجُلًا أَعْظَمَ مِنْهُ . »

قالَ مارْك أَنطُونْيُو : «لا تَخَفْ ! فَإِنَّ كاسْيَس لَيْسَ خَطِرًا . إِنَّهُ مُواطِنٌ رُومانِيٌّ صالِحٌ . »

أَجابَهُ قَيْصَرَ في كِبْرِياءَ : «إِنَّني لَسْتُ خائِفًا مِنْهُ ، أَوْ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ ، لِأَنَّني قَيْصَرَ . »

قَـــرارُ بْرُوتَس

في تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ هَبَّتْ عاصِفَةٌ شَديدَةٌ ، وَحَدَثَتْ أَشْياءُ كَثيرَةٌ غَريبَةٌ . وَكانَتْ تِلْكَ ٱلعاصِفَةُ مِنْ أَعْتى ٱلعَواصِفِ ٱلَّتي شَهِدَها ٱلنَّاسُ ؛ فَقَدِ ٱنطَلَقَتِ ٱلحَيَواناتُ ٱلمُتَوَحِّشَةُ تَجْري عَبْرَ شَوارِعِ ٱلمَدينَةِ ، وَلٰكِنَّها لَمْ تَكُنْ تُؤْذي أَحَدًا . وَكانَ ٱلمُسِنُّونَ في ٱلمَدينَةِ يَعْلَمونَ أَنَّ شَرًّا سَيَقَعُ . وَقَدْ حالَ صَوْتُ ٱلعاصِفَةِ بَيْنَ كَثيرٍ مِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلنَّوْمِ .

وَكانَ بْروتَس أَحَدَ هٰؤلاءِ ٱلَّذينَ لَمْ يَسْتَطيعوا ٱلنَّوْمَ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ ، وَلٰكِنْ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ ٱلعاصِفةُ هِيَ ٱلَّتي أَبْعَدَتِ ٱلنَّوْمَ عَنْ جُفونِهِ ، وَلٰكِنْ لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ سَعيدًا بِأَمْرِ قَيْصَر ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَثِقَ بِهِ بَعْدَ حَديثِهِ مَعَ كاسْيَس .

كانَ ضَوْءُ ٱلنَّهارِ يوشِكُ أَنْ يَخْتَرِقَ حُجُبَ ٱلظَّلامِ ، وَبْروتَس يَتَمَشّى في حَديقةِ مَنْزِلِهِ . وَنادَى خادِمَهُ ، وَقالَ لَهُ : «ضَعْ مِصْباحًا بِغُرْفَتي ، ثُمَّ أَخْبِرْني عِنْدَما تُضيءُ ٱلمِصْباحَ .» وَخَرَجَ ٱلخادِمُ لِيُنَفِّذَ ٱلأَمْرَ .

حينَذاكَ ، وَصَلَ بْروتَس إلى قَرارٍ : يَجِبُ أَنْ يَموتَ قَيْصَر ؛ إِنَّهُ لَيْسَ عَدُوًّا لي ، وَلٰكِنْ يَنْبَغي أَنْ يَموتَ ، وَذٰلِكَ لِمَصْلَحةِ ٱلجَميعِ . فَهُوَ يُريدُ أَنْ يُصْبِحَ مَلِكًا ، وَهٰذا سَيُغَيِّرُهُ ، وَيَجْعَلُهُ خَطِرًا على رُوما .

عادَ ٱلخادِمُ وَقالَ : «إِنَّ ٱلمِصْباحَ مُضيءٌ بِغُرْفَتِكَ يا سَيِّدي . وَقَدْ فوجِئْتُ بِهٰذا ٱلخِطابِ قَريبًا مِنَ ٱلنّافِذةِ . وَلَمْ يَكُنْ مَوْجودًا عِنْدَما آوَيْتُ إلى فِراشي .»

قَرَأَ بْروتَس ٱلخِطابَ ، وَقَدْ جاءَ فيهِ : «إِنَّكَ نائِمٌ يا بْروتَس ! اِسْتَيْقِظْ ، وَٱفتَحْ عَيْنَيْكَ لِتَرى بِنَفْسِكَ أَحْوالَ رُوما ! هَلْ تُصْبِحُ رُوما تَحْتَ ٱلحُكْمِ ٱلمُطْلَقِ لِرَجُلٍ واحِدٍ ؟ تَكَلَّمْ ! تَحَرَّكْ ! اِضْرِبْ ضَرْبَتَكَ !»

المُؤامَرةُ

بَعْدَ أَنْ فَرَغَ بْروتَس مِنْ قِراءةِ ٱلخِطابِ ، جاءَهُ ٱلخادِمُ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ كاسْيَس قَدْ جاءَ لِزِيارَتِهِ ، وَبِصُحْبَتِهِ بَعْضُ ٱلرِّجالِ ٱلمُلَثَّمينَ . وَعَرَفَ بْروتَس أَنَّهُمْ جاءوا لِيُدَبِّروا مُؤامَرةً لِقَتْلِ قَيْصَر .

لَمْ يَكُنْ كاسْيَس وَأَصْدِقاؤهُ واثِقينَ أَنَّ بْروتَس يُريدُ أَنْ يُشارِكَهُمْ في مُؤامَرةٍ لِقَتْلِ قَيْصَر ، وَلِهٰذا تَكَلَّموا في ٱلبِدايَةِ عَنْ شُروقِ ٱلشَّمْسِ وَأُمورٍ أُخْرى لَيْسَتْ مُهِمَّةً .

أَخَذَ كاسْيَس بْروتَس إلى ناحيَةٍ مِنْ نَواحي ٱلقاعَةِ ، وَتَحَدَّثَ مَعَهُ بِصَوْتٍ هامِسٍ . وَبَعْدَ ذٰلِكَ عادَ بْروتَس إلى ٱلآخَرينَ ، وَصافَحَهُمْ واحِدًا ، واحِدًا ، تَعْبيرًا عَنِ ٱنضِمامِهِ لَهُمْ في مُؤامَرَتِهِمْ لِقَتْلِ قَيْصَر .

قالَ كاسْيَس : « فَلْنُقْسِمِ ٱلآنَ قَسَمًا مُؤَكَّدًا أَنْ نَقْتُلَ قَيْصَر . »

أَجابَ بْروتَس : « لَقَدْ تَواعَدْنا عَلى ذٰلِكَ مِنْ قَبْلُ ، وَنَحْنُ مُواطِنونَ صالِحونَ . فَلا يوجَدُ رومانِيٌّ حَقيقِيٌّ يَحْتاجُ إلى قَسَمٍ غَليظٍ يَجْعَلُهُ يَلْتَزِمُ بِواجِبِهِ . »

قالَ كاسْيَس : « يَنْبَغي أَنْ نَقْتُلَ مارْك أَنْطونْيو – صَديقَ قَيْصَر – أَيْضًا ، لأَنَّنا إنْ قَتَلْنا قَيْصَرَ وَحْدَهُ ، فَقَدْ يُصْبِحُ أَنْطونْيو خَطَرًا عَلَيْنا . أَمّا إنْ قَتَلْناهُما مَعًا ، فَإِنَّ ذٰلِكَ يُصْبِحُ أَكْثَرَ أَمْنًا وَسَلامَةً لَنا . »

قالَ بْروتَس : « عَلَيْنا أَلّا نَقْتُلَ أَكْثَرَ مِمّا يَنْبَغي ، لأَنَّنا إنْ قَتَلْنا أَنْطونْيو ، فَسَنَكونُ أَشْبَهَ بِمَنْ يَقْطَعُ ذِراعَ إنْسانٍ ، بَعْدَ فَصْلِ رَأْسِهِ عَنْ جَسَدِهِ ، إذْ إنَّ أَنْطونْيو مُجَرَّدُ ذِراعٍ لِقَيْصَر . »

قالَ كاسْيَس : « لٰكِنَّني أَخْشاهُ ! »

قالَ بْروتَس : « أَوَدُّ أَنْ أَقْتُلَ روحَ قَيْصَر لا جَسَدَهُ ؛ فَنَحْنُ لا نَقْتُلُهُ لأَنَّنا نَكْرَهُهُ ، وَإنَّما نَقْتُلُهُ لأَنَّ ذٰلِكَ في مَصْلَحَةِ روما . »

رَتَّبَ بْروتَس مَعَ أَصْدِقائِهِ أَنْ يُلاقُوا قَيْصَرَ في ٱلْيَوْمِ ٱلتّالي ، وَيَقْتُلوهُ وَهُوَ في طَرِيقِهِ إلى مَجْلِسِ ٱلشُّيُوخِ .

قالَ كاسْيَس : «رُبَّما لا يُغادِرُ قَيْصَرُ بَيْتَهُ غَدًا ، فَهٰذِهِ ٱلعاصِفَةُ قَدْ تَجْعَلُهُ يُغَيِّرُ رَأْيَهُ ؛ إذْ إِنَّهُ يُصَدِّقُ ما يَراهُ في ٱلأَحْلامِ ، وَما يَبْدُو أَنَّهُ نَذيرُ شَرٍّ . وَقَدْ يَشْعُرُ حِينَئِذٍ أَنَّهُ مِنَ ٱلأَسْلَمِ لَهُ ، وَمِنَ ٱلأَفْضَلِ أَنْ يَبْقى في بَيْتِهِ .»

قالَ دِيسْيَس ، أَحَدُ أَصْدِقاءِ كاسْيَس : «سَأَذْهَبُ إلى قَيْصَرَ وَأَصْحَبُهُ إلى مَجْلِسِ ٱلشُّيُوخِ . وَسَأُطْرِيهِ بِقَوْلي إِنَّهُ رَجُلٌ عَظيمٌ . وَهٰذا سَيُرْضيهِ ، وَيَجْعَلُهُ يَتَوَجَّهُ إلى ٱلمَجْلِسِ .»

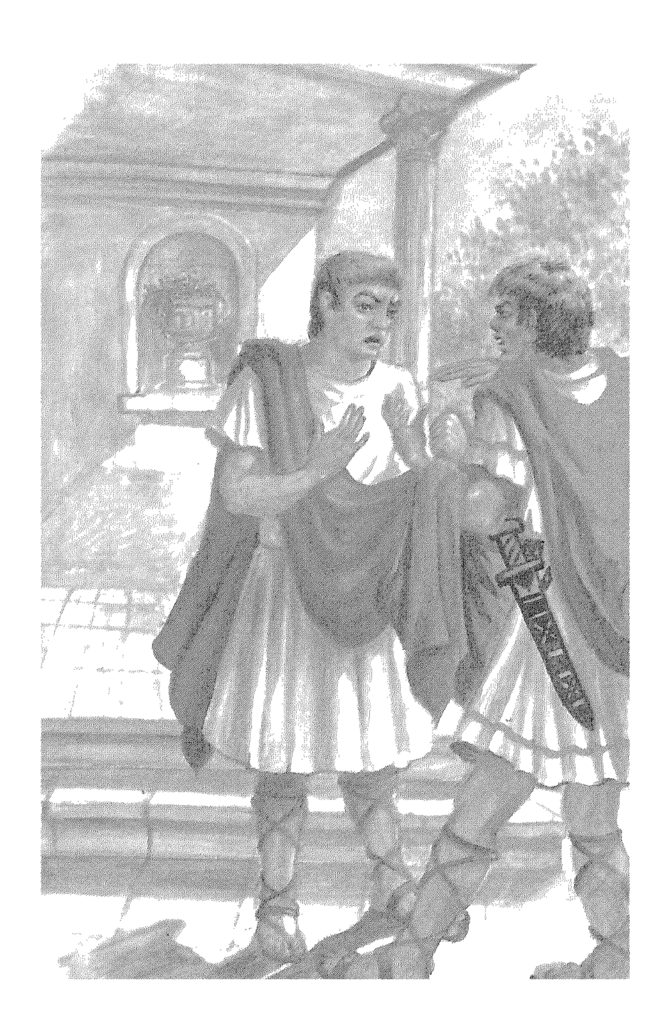
پُورْشِيا

عِنْدَما ٱنْصَرَفَ كاسْيَس وَأَصْدِقاؤُهُ ، دَخَلَتْ پُورْشِيا ، زَوْجَةُ بْروتَس ،ٱلحَديقَةَ وَٱتَّجَهَتْ إلى زَوْجِها . وَكانَتْ پُورْشِيا جَميلَةً وَحَكيمَةً .

قالَتْ لَهُ : «لَقَدِ ٱسْتَيْقَظْتَ في مُنْتَصَفِ ٱللَّيْلِ . وَفي ٱللَّيْلَةِ ٱلماضِيَةِ — وَنَحْنُ نَتَناوَلُ طَعامَ ٱلعَشاءِ — نَهَضْتَ فَجْأَةً ، وَأَخَذْتَ تَمْشي جَيْئَةً وَذَهابًا ، وَعِنْدَما سَأَلْتُكَ عَنِ ٱلأَمْرِ ، نَظَرْتَ إِلَيَّ في غَضَبٍ ، وَلَمْ تَرُدَّ عَلَيَّ ! وَٱلآنَ ، أَنْتَ لا تَأْكُلُ ، وَلا تَتَكَلَّمُ ، وَلا تَنامُ ! فَأَخْبِرْني ماذا أَلَمَّ بِكَ ؟»

قالَ لَها بْروتَس : «إنني كَدِرٌ ، وَهٰذا هُوَ كُلُّ ما في ٱلأَمْرِ !»

قالَتْ : «لِماذا إذًا تَمْشي في ٱلحَديقَةِ في هٰذا ٱلوَقْتِ ٱلمُتَأَخِّرِ مِنَ ٱللَّيْلِ



وَأَنْتَ مَريضٌ ؟ لا ! إنَّ ما أُصابَكَ لَيْسَ مَرَضًا جَسَديًّا ، وَإنَّما هُوَ أَمْرٌ يَتَعَلَّقُ بِما يَدُورُ في عَقْلِكَ . فَلْتُفْصِحْ لي عَمَّا بِكَ . »

رَكَعَتْ پورْشِيا عَلى رُكْبَتَيْها ، وَسَأَلَتْ بْروتَس : « مَنْ هُمْ هٰؤُلاءِ ٱلرِّجالُ ٱلَّذينَ جاءُوا إلَيْكَ ٱللَّيْلَةَ ؟ لَقَدْ كانوا مُلَثَّمينَ ! »

أَجابَ بْروتَس : « لا تَرْكَعي أَمامي يا زَوْجَتي ٱلحَنونَ ! »

أَجابَتْ : « لَوْ كُنْتَ رَفيقًا بي يا بْروتَس ، ما رَكَعْتُ أَمامَكَ . فَإنَّني لَسْتُ مُجَرَّدَ ٱمْرأَةٍ لِتُرافِقَكَ عِنْدَما نَتَناوَلُ ٱلطَّعامَ ، أَوْ لِتَتَجاذَبَ مَعَها أَطْرافَ ٱلحَديثِ مِنْ حينٍ لآخَرَ . وَإنَّما أَنا زَوْجَتُكَ ، وَلِيَ ٱلحَقُّ في أَنْ أَعْرِفَ كُلَّ أَسْرارِكَ . »

عِنْدَئِذٍ ، سَمِعَ بْروتَس صَوْتًا بِالبابِ ، فَقالَ لِزَوْجَتِهِ : « اِرْجِعي يا پورْشِيا ، وَسَأُخْبِرُكِ فيما بَعْدُ . »

كالْبورْنِيا

كانَتْ هُناكَ زَوْجَةٌ أُخرى ، أَصابَها ٱلانْزِعاجُ وَٱلخَوْفُ في تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ ، وَهِيَ كالْبورْنِيا زَوْجَةُ قَيْصَر .

قالَ قَيْصَر : « إنَّ هٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ تَفْتَقِرُ إلى ٱلهُدُوءِ ، سَواءٌ في ٱلسَّماءِ ، أَمْ عَلى ٱلأَرْضِ . فَقَدْ سَمِعْتُ زَوْجَتي كالْبُورْنِيا تَصْرُخُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ أَثْناءَ نَوْمِها قائِلَةً : ٱلنَّجْدَةَ ! ٱلنَّجْدَةَ ! إنَّهُمْ يَقْتُلونَ قَيْصَر ! »

جاءَتْ كالْبُورْنِيا إلَيْهِ ، وَقالَتْ : « لا تَبْرَحْ بَيْتَكَ ٱلْيَوْمَ ، فَإنَّ لَكَ أَعْداءً . وَتَدُلُّ شَواهِدُ عَديدَةٌ عَلى أَنَّ ثَمَّةَ خَطَرًا مُحَدِّقًا بِكَ ! »

أجابَ قَيْصَر : « لَقَدْ عَقَدْتُ ٱلعَزْمَ عَلى ٱلذَّهابِ ، وَسَوْفَ يُصيبُ ٱلخَوْفُ أَعْدائي حينَ يَرَوْني . إنَّ مَنْ يَخافُ ٱلمَوْتَ ، يَموتُ في ٱليَوْمِ أَلْفَ مَرَّةٍ ، وَلٰكِنَّ ٱلشُّجْعانَ هُمُ ٱلَّذينَ يَموتونَ مَرَّةً واحِدةً فَحَسْبُ . إنَّ كُلَّ نَفْسٍ ذائِقَةُ ٱلمَوْتِ ؛ فَلْيَأْتِ ٱلمَوْتُ حينَما يَشاءُ . »

دَخَلَ خادِمٌ قائلًا : « يَقولُ ٱلحُكَماءُ إنَّهُ يَنْبَغي أَلَّا تُغادِرَ بَيْتَكَ ٱليَوْمَ ؛ فَقَدْ ذَبَحوا حَيَوانًا ، وَشَقُّوا جُثَّتَهُ ، وَأَخَذوا يَبْحَثونَ داخِلَها عَنْ شَيْءٍ غَريبٍ ، فَوَجَدوا أَنَّ ٱلحَيَوانَ بِلا قَلْبٍ . وَلِذٰلِكَ يَنْصَحونَكَ أَلَّا تَخْرُجَ . »

قالَ قَيْصَر : « إذا بَقيتُ بِٱلبَيْتِ ، أَصْبَحْتُ كَذٰلِكَ ٱلحَيَوانِ ، بِلا قَلْبٍ . »

حينَئِذٍ صاحَتْ كالْبُورْنِيا : « آهٍ ، ياسَيِّدي ! إنَّكَ شُجاعٌ ، وَإنَّ شَجاعَتَكَ قَدْ تَجاوَزَتْ كُلَّ ٱلحُدودِ ، غَيْرَ أَنَّكَ لَسْتَ حَكيمًا . وَلِذا يَجِبُ أَلَّا تَخْرُجَ ٱليَوْمَ ، وَلْنَقُلْ إنَّ خَشْيَتي عَلَيْكَ – لا خَوْفَكَ أَنْتَ – هِيَ ٱلَّتي مَنَعَتْكَ مِنَ ٱلخُروجِ ، وَسَنَبْعَثُ مارْكَ أَنْطُونْيُو إلى مَجْلِسِ ٱلشُّيُوخِ لِيَقولَ إنَّكَ مُتَوَعِّكٌ ٱليَوْمَ . »

قالَ قَيْصَر : « حَسَنًا ، سَأَبْقَى في ٱلبَيْتِ مِنْ أَجْلِ خاطِرِكِ ، وَسَيَقولُ مارْكَ أَنْطُونْيُو في ٱلمَجْلِسِ إنَّني مُتَوَعِّكٌ ٱليَوْمَ . »

دِيسْيَس يَتَكَلَّمُ

لَمْ يَكَدْ قَيْصَر يَتَّخِذُ هٰذا ٱلقَرارَ حَتَّى وَصَلَ دِيسْيَس – صَديقُ كاسْيَس –

لِيَصْحَبَ قَيْصَرَ إلى حَيْثُ يَجْتَمِعُ كُلُّ مَنْ بِيَدِهِمُ ٱلأَمْرُ في رُوما .

كانَ دِيسْيَس قَدْ وَعَدَ كُلًّا مِنْ كاسْيَس وَبْروتَس بِأَنَّهُ سَيَتَأَكَّدُ مِنْ أَنَّ قَيْصَرَ قَدْ غادَرَ بَيْتَهُ .

لٰكِنَّ قَيْصَرَ قالَ لَهُ : «فَلْتُخْبِرْ أَهْلَ رُوما بِأَنَّني لَنْ أَخْرُجَ ٱليَوْمَ . فَقَدْ طَلَبَتْ مِنِّي زَوْجَتي أَلّا أُغادِرَ ٱلبَيْتَ ، لِأَنَّ أَحْلامًا مُزْعِجةً قَدِ ٱنْتابَتْها ، مِمّا جَعَلَها تَخْشى عَلى حَياتي !»

قالَ دِيسْيَس : «إِنَّ أَهْلَ رُوما سَيُقَدِّمونَ إِلَيْكَ تاجًا ٱليَوْمَ . فَإِنْ لَمْ تَأْتِ فَقَدْ يَعْدِلونَ عَنْ رَأْيِهِمْ . وَسَيَضْحَكُ ٱلجَميعُ مِنْكَ ، وَيقولونَ إِنَّكَ لَنْ تَأْتِيَ حَتّى تُراوِدَ زَوْجَتَكَ أَحْلامٌ سَعيدةٌ . وَسَيُقالُ إِنَّ قَيْصَرَ خائِفٌ .»

قالَ قَيْصَرُ : «كَمْ تَبْدو لِي مَخاوِفُكِ حَمْقاءَ ٱلآنَ يا كالْبورْنِيا ! كانَ يَنْبَغي أَلّا أَسْتَمِعَ إِلَيْكِ ! إِنَّني مُصَمِّمٌ ٱلآنَ عَلى ٱلذَّهابِ .»

ثُمَّ غادَرَ قَيْصَرُ بَيْتَهُ لِيَلْقى حَتْفَهُ .

اِضْــــرِبْ

في ٱلطَّريقِ إلى مَجْلِسِ ٱلشُّيوخِ ، كانَ في ٱنْتِظارِ قَيْصَرَ رَجُلانِ لِيَتَحَدَّثا إِلَيْهِ : أَحَدُهُما عَجوزٌ ، وَكانَ قَدْ حَذَّرَ قَيْصَرَ مِنْ قَبْلُ ، حَتّى يَكونَ حَريصًا في هٰذا ٱليَوْمِ . أَمّا ٱلآخَرُ فَكانَ مُعَلِّمًا ، وَقَدْ كَتَبَ رِسالةً إلى قَيْصَرَ وَأَرادَ أَنْ يُسَلِّمَها إِلَيْهِ وَهُوَ يَمُرُّ أَمامَهُ ، وَأَخْبَرَهُ فيها أَنَّ بْروتَس وَكاسْيَس قَدْ دَبَّرا مُؤامَرةً لِقَتْلِهِ .

قالَ ٱلمُعَلِّمُ لِقَيْصَرَ : «اِقْرَأْ هٰـذِهِ ٱلرِّسالةَ ، فَهِيَ مُهِمَّةٌ لَكَ .»

قالَ لَهُ قَيْصَرَ : «إِنْ كانَتْ هٰـذِهِ ٱلرِّسالةُ تَخُصُّني وَحْدي ، فَيُمْكِنُ أَنْ تَنْتَظِرَ .»

قالَ ٱلرَّجُلُ : «لا ! لا يُمْكِنُها ٱلآنْتِظارُ . اِقْرَأْها ٱلآنَ !»

أَجابَهُ قَيْصَرَ : «لا يُمْكِنُ أَنْ أَقِفَ لِأَقْرَأَها في وَسَطِ ٱلطَّريقِ . أَحْضِرْها لي فيما بَعْدَ .» ثُمَّ دَخَلَ مَجْلِسَ ٱلشُّيوخِ .

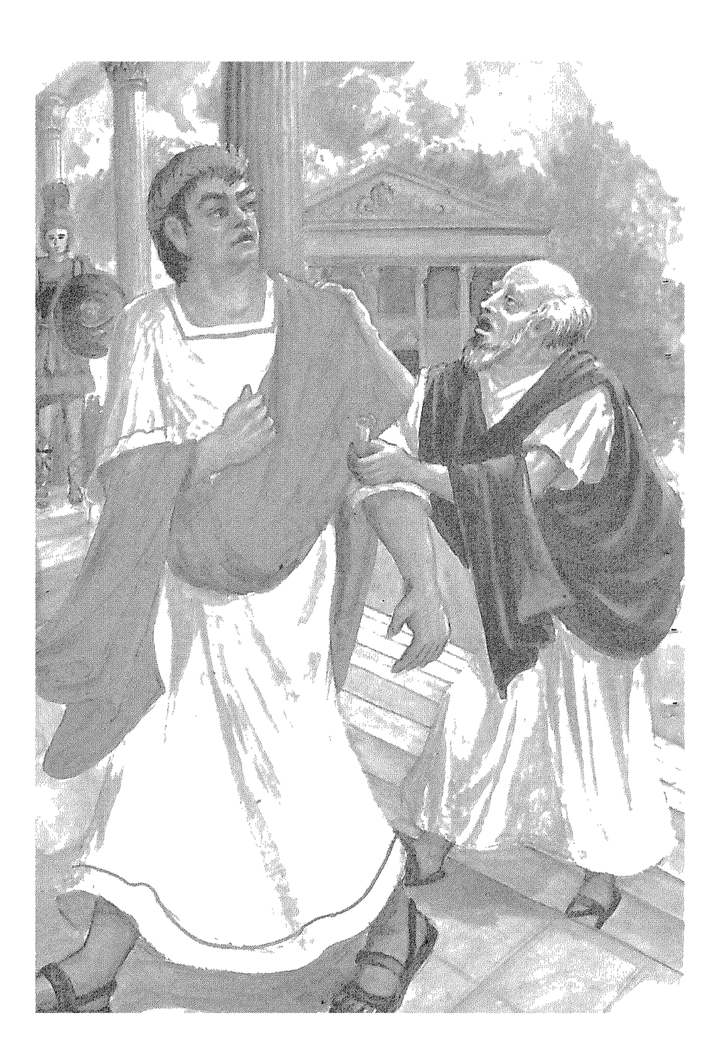
قالَ كاسْكا : «اِنْتَظِرْ يا بْروتَس ، إِنَّ صَديقَنا تْريبونْيَس يَأْخُذُ مارْك أَنْطونْيو إِلى خارِجِ ٱلقاعةِ . أَيْنَ مِيتِيلَّس ؟ يَنْبَغي أَنْ يَذْهَبَ إِلى قَيْصَرَ . وَيُحَدِّثَهُ عَنْ أَخيهِ ٱلَّذي نَفاهُ قَيْصَرَ خارِجَ رُوما .»

قالَ بْروتَس : «إِنَّ مِيتِيلَّس هُناكَ . فَهَيَّا نَشُقُّ طَريقَنا وَسْطَ مَنْ يُحيطونَ بِقَيْصَرَ ، وَعَلَيْكَ يا كاسْكا أَنْ تَكونَ أَوَّلَ مَنْ يَضْرِبُ .»

رَكَعَ مِيتِيلَّس أَمامَ قَيْصَرَ قائِلًا : «يا قَيْصَرَ ! يا مَنْ بَلَغْتَ أَرْفَعَ مَكانةً ، وَبَلَغْتَ مِنَ ٱلقُوَّةِ كُلَّ مَبْلَغٍ .. إِنَّني أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ ..»

قاطَعَهُ قَيْصَرَ قائِلًا : «اِنْهَضْ ! إِنَّكَ لَوْ رَكَعْتَ أَمامي بِهٰـذِهِ ٱلصُّورةِ ، لَعامَلْتُكَ مُعامَلةَ ٱلكِلابِ .»

لٰكِنَّ مِيتِيلَّس واصَلَ كَلامَهُ قائِلًا : «إِنَّني أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ يا قَيْصَرَ أَنْ تَسْمَحَ لِأَخي بِالعَوْدةِ إِلى رُوما ..» وَوَجَّهَ حَديثَهُ إِلى ٱلحاضِرينَ ، قائِلًا : «أَلا يُوجَدُ مَنْ يَقِفُ إِلى جانِبي ؟»



قالَ بْروتَس : «هٰـأنَذا أُقَبِّلُ يَدَكَ يا قَيْصَر ، وَأَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ أَنْ تَسْمَحَ لِلرَّجُلِ بِالعَوْدَةِ إِلى وَطَنِهِ .»

أُجابَ قَيْصَر : «إِنَّ ٱلتَّوَسُّلاتِ تُؤَثِّرُ في غَيْري مِنَ ٱلرِّجالِ ، لِأَنَّهُمْ يُغَيِّرونَ مَواقِفَهُمْ ، أَمَّا أَنا فَلا . إِنَّني ثابِتٌ عَلى رَأْيي ، كَالنَّجْمِ في فَلَكِهِ . إِنَّ ٱلعالَمَ يَعِجُّ بِالرِّجالِ ، وَلٰـكِنَّ واحِدًا – فَحَسْبُ – هُوَ ٱلصّامِدُ في مَوْقِعِهِ لا يَهْتَزُّ . إِنَّهُ أَنا ! فَلَقَدْ أَمَرْتُ بِخُروجِ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ مِنْ روما ، وَمازالَ أَمْري نافِذًا .»

اِزْدادَ ٱلضَّغْطُ حَوْلَ قَيْصَرَ مِنْ أُولٰـئِكَ ٱلَّذينَ يَصيحونَ : «يا قَيْصَرُ ! يا قَيْصَرُ ٱلعَظيمُ !»

عِنْدَئِذٍ صاحَ كاسْكا : «اِضْرِبْ !» فَضَرَبوا قَيْصَرَ بِسُيوفِهِمْ . وَكانَ آخِرَهُمْ بْروتَس ، فَصَرَخَ قَيْصَرُ وَهُوَ يَسْقُطُ : «حَتّى أَنْتَ يا بْروتَس !»

صاحَ بْروتَس : «أَيُّها ٱلنّاسُ ! يا أَعْضاءَ مَجْلِسِ ٱلشُّيوخِ . لا تَخْشَوا شَيْئًا . فَإِنَّنا لا نَنْوي إِيذاءَ أَحَدٍ مِنْكُمْ . فَهَيّا نَغْمِسْ أَيْدِيَنا في دَمِ قَيْصَرَ ، ثُمَّ نَرْفَعْ سُيوفَنا ٱلحَمْراءَ فَوْقَ رُؤوسِنا ، وَنَهْتِفْ : ٱلسَّلامُ وَٱلحُرِّيَّةُ ! فَنَحْنُ ٱلَّذينَ حَرَّرْنا روما .»

مارْك أَنْطونْيو

قَبْلَ أَنْ يَخْرُجوا ، ظَهَرَ أَحَدُ خَدَمِ مارْك أَنْطونْيو . وَكانَ أَنْطونْيو مَعَ قَيْصر حينَما دَخَلَ مَبْنى مَجْلِسِ ٱلشُّيوخِ . وَلٰـكِنَّهُ سَرْعانَ ماعادَ إِلى بَيْتِهِ بَعْدَ مَقْتَلِ قَيْصَر .

جاءَ خادِمُهُ ليُقابِلَ بْروتَس ، وَيَسْأَلَهُ : « هَلْ بِمَقْدورِ أَنْطونْيو أَنْ يَحْضُرَ – وَهُوَ آمِنٌ عَلى نَفْسِهِ – لِيَعْرِفَ سَبَبَ مَقْتَلِ قَيْصَر ! »

قالَ لَهُ بْروتَس : « إِنَّ سَيِّدَكَ رُومانِيٌّ حَكيمٌ شُجاعٌ ؛ فَٱطْلُبْ مِنْهُ أَنْ يَحْضُرَ مَجْلِسَنا لِيَسْمَعَ مِنَّا ، ثُمَّ يَعودَ إِلى بَيْتِهِ سالِمًا . »

قالَ ٱلخادِمُ : « سَأَصْحَبُهُ إِلَيْكُمْ . »

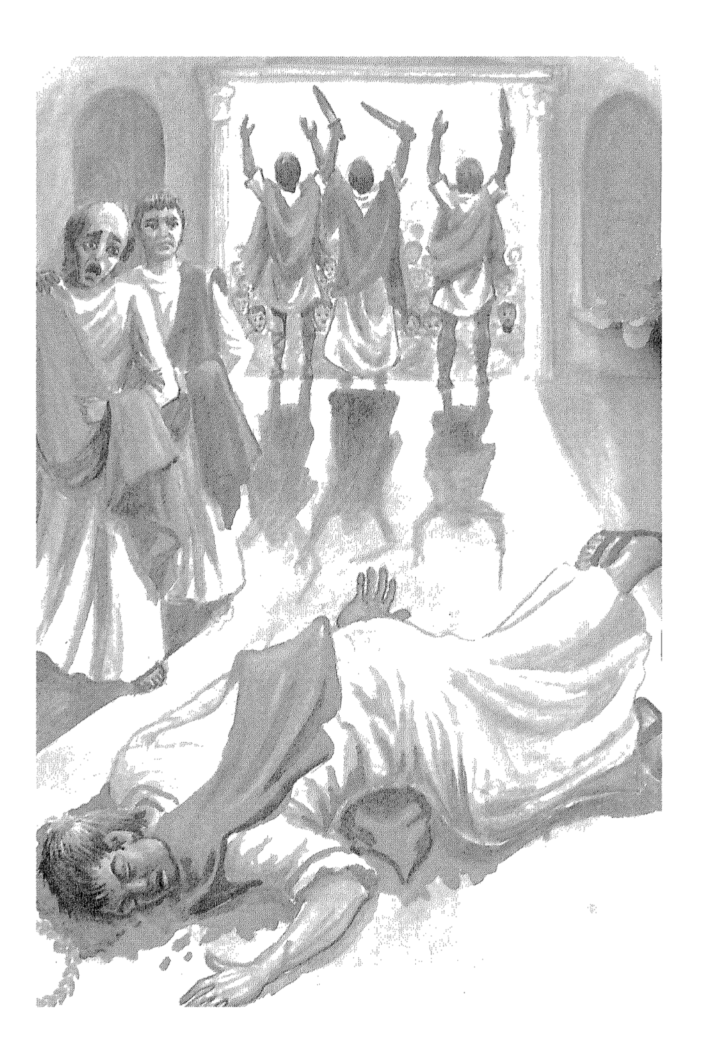
قالَ بْروتَس : « إِنَّني أَعْلَمُ أَنَّ مارْك أَنْطونْيو قادِمٌ كَصَديقٍ . »

لٰكِنَّ كاسْكا قالَ : « أَتَمَنَّى ذٰلِكَ ، غَيْرَ أَنَّني أَخْشاهُ ! »

عِنْدَما جاءَ أَنْطونْيو وَقَفَ إِلى جِوارِ جُثَّةِ قَيْصَر ، وَقالَ في حُزْنٍ : « آهٍ يا قَيْصَر ! يا مَنْ كُنْتَ قَوِيًّا ! أَهٰذِهِ نِهايَةُ كُلِّ أَعْمالِكَ ٱلعَظيمَةِ ؟! »

اِلْتَفَتَ بَعْدَ ذٰلِكَ إِلى بْروتَس وَأَصْدِقائِهِ قائِلًا : « إِنَّني لا أَعْرِفُ ، أَيُّها ٱلسَّادَةُ ، ما وَضَعْتُموهُ مِنْ خُطَطٍ ! مَنِ ٱلَّذي يَنْبَغي أَنْ يُقْتَلَ بَعْدَ قَيْصَر ؟ إِنْ كانَ هٰذا ٱلشَّخْصُ هُوَ أَنا ، فَلْتَقْتُلوني ٱلآنَ في ٱلوَقْتِ نَفْسِهِ ٱلَّذي قُتِلَ فيهِ قَيْصَرُ ٱلعَظيمُ ، وَبِالسُّيوفِ نَفْسِها ، ٱلَّتي ما زالَتْ حَمْراءَ بِدَمِهِ . »

قالَ بْروتَس : « آهٍ يا أَنْطونْيو ! إِنَّ سُيوفَنا لَيْسَتْ مُوَجَّهةً ضِدَّكَ ، فَأَيْدينا مُلَوَّثةٌ بِالدِّماءِ . وَلٰكِنَّ قُلوبَنا مُثْقَلةٌ بِالحُزْنِ . إِنَّنا لَمْ نَقْتُلْ قَيْصَرَ إِلَّا مِنْ أَجْلِ مَصْلَحةِ رُوما . وَنَحْنُ نُحِبُّكَ كَأَخٍ مِنْ إِخْوَتِنا . فَٱنْتَظِرْ حَتَّى نُخاطِبَ ٱلنَّاسَ ، وَعِنْدَئِذٍ سَتَعْرِفُ ٱلسَّبَبَ ٱلَّذي دَفَعَني إِلى طَعْنِ قَيْصَر ، رَغْمَ أَنَّني أُحِبُّهُ . »



قالَ أَنْطونيُو : « أَيُّها ٱلأَصْدِقاءُ ! إِنَّني لا أَشُكُّ فيما تَتَّصِفُونَ بِهِ مِنْ حِكْمَةٍ . وَإِنَّني مَعَكُمْ جَميعًا وَأُحِبُّكُمْ ، إِلَّا أَنَّني أَوَدُّ أَنْ تُوَضِّحوا لي : كَيْفَ ، وَلِماذا كانَ قَيْصَر خَطِرًا ؟ هٰذا هُوَ كُلُّ ما أَطْلُبُهُ ! وَلْتَسْمَحوا لي بِحَمْلِ جُثْمانِهِ إلى ٱلمَيْدانِ ٱلعامِّ ، حَيْثُ أَرْثيهِ كَصَديقٍ . »

لَمْ يَكُنْ كاسْكا يُحِبُّ ذٰلِكَ ، وَلٰكِنَّ بْروتَس قالَ : « سَأَكونُ أَنا أَوَّلَ ٱلمُتَحَدِّثينَ لِأَشْرَحَ لِلنّاسِ أَسْبابَ قَتْلِ قَيْصَر ، ثُمَّ أُوَضِّحَ لَهُمْ أَنَّنا سَنَسْمَحُ لِأَنْطونيُو أَنْ يَرْثِيَ قَيْصَر . »

غَيْرَ أَنَّ كاسْكا قالَ : « لَسْتُ مُطْمَئِنًّا لِـذٰلِكَ ! فَلَسْتُ أَدْري ما يُمْكِنُ أَنْ يَحْدُثَ حِينَذاكَ . »

تَرَكَ بْروتَس وَأَصْدِقاؤُهُ أَنْطونيُو وَحْدَهُ مَعَ جُثْمانِ قَيْصَر .

أَخَذَ أَنْطونيُو يَتَأَمَّلُ في حُزْنٍ جُثْمانَ صَديقِهِ قَيْصَر ، وَيَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ كَما لَوْ كانَ حَيًّا : « فَلْتَغْفِرْ لي يا قَيْصَر ، ما أَبْدَيْتُهُ مِنْ لينٍ مَعَ ٱلَّذينَ قَتَلوكَ . لَقَدْ كُنْتَ أَعْظَمَ مَنْ شَهِدَتْهُ ٱلدُّنْيا مِنَ ٱلرِّجالِ ، وَسَيَكونُ لي شَأْنٌ مَعَ مَنْ قَتَلوكَ ، وَسَتَكونُ ٱلحَرْبُ طَويلَةً بَيْني وَبَيْنَهُمْ . سَيُقْتَلُ فيها ٱلكَثيرونَ ، وَسَيَحِلُّ فيها خَرابٌ كَبيرٌ . إِنَّني لَأَقْطَعُ عَلى نَفْسي عَهْدًا مُؤَكَّدًا أَنَّهُ لَنْ تَهْدَأَ نَفْسي ، حَتّى يَموتَ بْروتَس وَكاسْيَس . »

أُوكْتافْيَس

في تِلْكَ ٱللَّحْظَةِ وَصَلَ خادِمٌ مِنْ خَدَمِ أُوكْتافْيَس قَيْصَر ٱبْنِ أَخي يُولْيُوس

قَيْصَر . وَكانَ يُولْيُوس قَيْصَر قَدْ أَرْسَلَ لِأُوكْتافْيَس لِيَحْضُرَ إلى رُوما . وَكانَ أُوكْتافْيس لا يَبْعُدُ عَنْ رُوما سِوى بِضْعَةِ أَمْيالٍ ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ عَرَفَ بِمَصْرَعِ عَمِّهِ ، صَباحَ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ .

قالَ أَنْطُونْيُو لِخادِمِ أُوكْتافْيَس : « عُدْ إلَيْهِ ، وَأَخْبِرْهُ بِما حَدَثَ ؛ فَإِنَّ رُوما لَيْسَتْ بِالْمَكانِ ٱلْآمِنِ لَهُ .

« لا ! اِنْتَظِرْ حَتَّى أَخْطُبَ في ٱلْقَوْمِ ، ثُمَّ ٱنْطَلِقْ إلى أُوكْتافْيَس لِتُخْبِرَهُ كَيْفَ تَسيرُ ٱلْأُمورُ . »

بْرُوتَس يَخْطُبُ في ٱلنَّاسِ

في ٱلْيَوْمِ ٱلتَّالي ، وَفي ٱلْمَيْدانِ ٱلعامِّ بِمَدينةِ رُوما ، أَخَذَ بْرُوتَس يَخْطُبُ في عامَّةِ ٱلنَّاسِ مُوَضِّحًا أَسْبابَ قَتْلِ قَيْصَر . وَكانَ حَديثُهُ بَسيطًا واضِحًا ، وَلِذا ٱجْتَمَعَ حَوْلَهُ أُناسٌ كَثيرونَ .

قالَ بْرُوتَس : « لَقَدْ أَحْبَبْتُ قَيْصَر ، كَما يُحِبُّهُ كُلُّ أَصْدِقائِهِ ، إلَّا أَنَّني قَتَلْتُهُ ، لِأَنَّني أُحِبُّ رُوما أَكْثَرَ مِنْهُ . لَقَدْ كانَ يَتَطَلَّعُ إلى ٱلسَّيْطَرةِ .. فَهَلْ كُنْتُمْ تُريدونَ لَهُ ٱلْحَياةَ لِيَجْعَلَكُمْ خَدَمًا لَهُ ؟ أَلا تُفَضِّلونَ لَهُ ٱلْمَوْتَ لِتُصْبِحوا أَحْرارًا ؟ إنَّني عَلى ٱسْتِعْدادٍ لِأَنْ أَضَعَ حَدًّا لِحَياتي بِالسَّيْفِ نَفْسِهِ ٱلَّذي قَتَلْتُ بِهِ قَيْصَر ، حينَ يَكونُ ذٰلِكَ في مَصْلَحةِ رُوما . »

وَعِنْدَما أَوْشَكَ بْرُوتَس أَنْ يُنْهِيَ حَديثَهُ إلى جُمْهورِ ٱلنَّاسِ ، حَمَلَ مارْك أَنْطُونْيُو وَخَدَمُهُ جُثْمانَ قَيْصَرَ إلى ٱلْمَيْدانِ ٱلعامِّ .

أَخَذَ ٱلنَّاسُ يَهْتِفونَ : « يَحْيا بْروتَس ! لِيَكُنْ بْروتَس ٱلقَيْصَرَ ! لِيَكُنْ حاكِمَ رُوما مَكانَ قَيْصَر ! لِنَحْمِلْهُ عَلى أَعْناقِنا إلى بَيْتِهِ ! »

قالَ بْروتَس : « دَعُوني أُغادِرْ هٰذا ٱلمَكانَ بِمُفْرَدي ، وَلْتَبْقَوْا أَنْتُمْ في أَماكِنِكُمْ لِتَسْتَمِعوا إلى أَنْطُونْيُو . فَقَدْ وافَقْنا عَلى أَنْ يُشَيِّعَ أَنْطُونْيُو قَيْصَرَ إلى قَبْرِهِ بِما يَسْتَحِقُّهُ مِنْ تَكْريمٍ وَتَبْجيلٍ . »

قالَ أَحَدُ ٱلحاضِرينَ : « فَلْيَتَكَلَّمْ أَنْطُونْيُو ، وَلٰكِنْ عَلَيْهِ أَلّا يُهاجِمَ بْروتَس . »

قالَ آخَرُ : « لَقَدْ كانَ مِنَ ٱلخَيْرِ مَوْتُ قَيْصَر . »

قالَ رَفيقُهُ وَهُوَ أَوَّلُ ٱلمُتَحَدِّثينَ : « صَمْتًا ! وَلْنَسْتَمِعْ إلى ما يُريدُ أَنْطُونْيُو أَنْ يَقولَهُ . »

صاحَ ٱلجَميعُ : « فَلْنَسْتَمِعْ إِلَيْهِ . »

أَيُّها ٱلأَصْدِقاءُ ! أَيُّها ٱلرُّومانِيُّونَ ! أَيُّها ٱلمُواطِنونَ !

بَدَأَ مارْك أَنْطُونْيُو يُلْقي خِطابَهُ ، فَقالَ :

« أَيُّها ٱلأَصْدِقاءُ ! أَيُّها ٱلرُّومانِيُّونَ ! أَيُّها ٱلمُواطِنونَ يا رِجالَ رُوما ! إِنَّ ما يَرْتَكِبُهُ ٱلإِنْسانُ مِنْ شَرٍّ يَبْقى بَعْدَ مَماتِهِ . أَمَّا ما يَفْعَلُهُ مِنْ خَيْرٍ ، فَكَثيرًا ما يُنْسى . وَقَدْ كانَ قَيْصَرُ لي صَديقًا صَدُوقًا حَميمًا ، وَكانَ يَبْكي عِنْدَ سَماعِ صَرَخاتِ ٱلمَساكينَ . وَقَدْ قالَ بْروتَس إِنَّ قَيْصَرَ كانَ يُريدُ ٱلمَزيدَ مِنَ ٱلسُّلُطاتِ . وَالواقِعُ أَنَّني عَرَضْتُ ٱلتَّاجَ عَلَيْهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، وَلٰكِنَّهُ أَبى . إِنَّكُمْ

جَميعًا كُنتُمْ تُحِبُّونَ قَيْصَر ، وَكُنتُمْ عَلى حَقٍّ في حُبِّكُمْ لَهُ . فَلِماذا لا تَبْكُونَهُ آلآنَ ؟»

بَدَأَ آللَّغَطُ حِينَذاكَ يَعْلو بَيْنَ جَماهيرِ آلنَّاسِ ، فَقالَ أَحَدُهُمْ : «لَقَدْ أَساءوا إلى قَيْصَر .»

صاحَ آخَرُ : «لا يُوجَدُ مَنْ هُوَ أَنْبَلُ مِنْ أَنطُونْيُو في رُوما . أُنْظُروا إلى عَيْنَيْهِ ، وَقَدِآحمَرَّتا مِنَ آلبُكاءِ عَلى قَيْصَرَ !»

لٰكِنَّ أَنطُونْيُو واصَلَ خِطابَهُ قائِلًا : «بِآلأَمْسِ كانَ قَيْصَر أَكْثَرَ آلنَّاسِ قُوَّةً في آلعالَمِ ، أَمَّا آلآنَ فَها هُوَ ذا مُسَجًّى أَمامَكُمْ ! أُنْظُروا إِلَيْهِ ! يُمْكِنُني أَنْ أُثيرَ مَشاعِرَكُمْ ضِدَّ بْروتَس وَكاسْيَس وَلٰكِنَّ هٰذا خَطَأٌ لِأَنَّهُما – كَما تَعْلَمونَ – رَجُلانِ يَنْبَغي تَبْجيلُهُما وَآحْتِرامُهُما . إِنَّني أُفَضِّلُ أَنْ أُسيءَ لِنَفْسي ، وَإِلى قَيْصَرَ عَلى أَنْ أُسيءَ إِلَيْهِما .»

وَآسْتَمَرَّ أَنطُونْيُو في خِطابِهِ قائِلًا : «مَعي هُنا وَرَقَةٌ كَتَبَها قَيْصَر بِخَطِّ يَدِهِ . إِنَّها وَصِيَّتُهُ ، وَهُوَ يُقَرِّرُ فيها ما يَتِمُّ بِشَأْنِ أَمْوالِهِ وَأَمْلاكِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ،وَلَنْ أَقْرَأَ هٰذِهِ آلوَصِيَّةَ ، لِأَنَّني إِنْ قَرَأْتُها ، فَإِنَّكُمْ سَتُقَبِّلُونَ جُروحَ قَيْصَر .»

صاحَ آلنَّاسُ : «إِقْرَأْها ! إِقْرَأْها !»

قالَ أَنطُونْيُو : «لا ! لَيْسَ مِنَ آلصَّوابِ أَنْ تَعْرِفوا كَمْ كانَ قَيْصَر يُحِبُّكُمْ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ سَيُوغِرُ صُدورَكُمْ ضِدَّ قاتِليهِ .»

عِنْدَئِذٍ ، صاحَ ٱلنَّاسُ ثانِيَةً : «ٱقْرَإِ ٱلوَصِيَّةَ ! ٱقْرَأْها ! »

قالَ أَنْطُونْيُو : «يَنْبَغي أَلّا أَقْرَأَها ، فَإِنَّني أَخْشى أَنْ أُسِيءَ إِلى ٱلرِّجالِ ٱلمُبَجَّلينَ ٱلَّذينَ قَتَلوا قَيْصَرَ . »

صاحَ ٱلنَّاسُ : «إِنَّهُمْ لَيْسوا مُبَجَّلينَ ! ٱقْرَإِ ٱلوَصِيَّةَ ! »

قالَ أَنْطُونْيُو : «اِلْتَفُّوا حَوْلَ جُثْمانِ قَيْصَرَ وَأَنْتُمْ واقِفونَ ، وَٱسْتَعِدُّوا ٱلآنَ لِلْبُكاءِ ، فَهٰذِهِ هِيَ عَباءَتُهُ ٱلَّتي كانَ يَرْتَديها في ٱلمَعْرَكَةِ ، عِنْدَما هَزَمَ أَهْلَ نِرْفي ، وَهٰذا هُوَ ٱلمَوْضِعُ ٱلَّذي نَفَذَ فيهِ سَيْفُ كاسْيَس ، وَهٰذا هُوَ ٱلجُرْحُ ٱلغائِرُ مِنْ سَيْفِ كاسْكا ! وَهُنا أَصابَهُ سَيْفُ بْروتَس ! وَلْتَنْظُروا كَمْ سالَ ٱلدَّمُ غَزيرًا مِنْ أَثَرِ هٰذِهِ ٱلإِصابَةِ .

«كانَ بْروتَس صَديقًا حَميمًا لِقَيْصَرَ ، وَهُوَ ٱلَّذي أَحَبَّهُ قَيْصَرَ ٱلعَظيمُ ، حَتَّى إِنَّهُ قَدْ سَقَطَ صَريعًا عِنْدَما رَأى بْروتَس يَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ ، وَيا لَهُ مِنْ سُقوطٍ ! لَقَدْ سَقَطْنا جَميعًا عِنْدَئِذٍ ، أَنا وَأَنْتُمْ ، بَيْنَما يَطَؤُنا أُولٰئِكَ ٱلمُتَعَطِّشونَ لِلدَّمِ . آهٍ ، إِنَّكُمْ تَذْرِفونَ ٱلدُّموعَ ٱلآنَ ! »

صاحَ ٱلقَوْمُ : «آهٍ يا قَيْصَرُ ٱلنَّبيلُ ؟ يالَهُ مِنْ مَنْظَرٍ في غايَةِ ٱلبَشاعَةِ . فَلْنَنْقَضِ عَلى ٱلقَتَلَةِ ! فَلْنُحْرِقْ بُيوتَهُمْ ! »

قالَ أَنْطُونْيُو : «لِماذا ؟ لِماذا تَفْعَلونَ هٰذا ؟ ماذا فَعَلَ قَيْصَر لِيَجْعَلَكُمْ تُحِبُّونَهُ كُلَّ هٰذا ٱلحُبِّ ؟! لَقَدْ نَسيتُمُ ٱلوَصِيَّةَ ! هاهِيَ ذي وَصِيَّةُ قَيْصَرَ : إِنَّهُ

يُعْطي كُلَّ مُواطِنٍ خَمْسًا وَسَبْعينَ قِطْعَةً مِنَ ٱلنُّقودِ ، وَيَتْرُكُ لَكُمْ كُلَّ حَدائِقِهِ وَحُقولِهِ لِتَتَنَزَّهوا فيها وَتَمْرَحوا . »

صاحَتِ ٱلجُموعُ : « سَنَحْمِلُ جُثْمانَ قَيْصَرَ إِلى ٱلمَحْرَقَةِ ، وَبِالنّارِ سَنُحْرِقُ بُيوتَ ٱلقَتَلَةِ . » ثُمَّ حَمَلوا جُثْمانَ قَيْصَرَ .

قالَ أَنْطُونْيو : « لَقَدْ بَدَأْتُ عَمَلًا ، وَدَعونا نَرى عاقِبَتَهُ . »

وَجاءَهُ خادِمٌ يَقولُ : « لَقَدْ دَخَلَ أُوكْتافْيَس روما ، وَخَرَجَ مِنْها بْروتَس وَكاسْيَس . »

طَيْفُ قَيْصَرَ

لَمْ يُدْرِكْ بْروتَس وَكاسْيَس مَدى خُطورَةِ أَنْطُونْيو إِلّا في وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ ، فَجَهَّزا جَيْشًا وَٱسْتَعَدّا لِقِتالِ رِجالِ أَنْطُونْيو وَأُوكْتافْيَس . وَلٰكِنْ سَرْعانَ ما دَبَّ ٱلخِلافُ بَيْنَ بْروتَس وَكاسْيَس ، وَأُصيبَ كاسْيَس بِكَآبَةٍ شَديدَةٍ جَعَلَتْهُ يُقَدِّمُ سَيْفَهُ إِلى بْروتَس قائِلًا : « ٱقْتُلْني كَما قَتَلْتَ قَيْصَرَ ، فَأَنا أَعْلَمُ أَنَّكَ كُنْتَ تُكِنُّ لَهُ مِنَ ٱلحُبِّ ما لا يُمْكِنُ أَنْ يُقارَنَ بِما تَشْعُرُ بِهِ مِنْ حُبٍّ نَحْوي . »

قالَ لَهُ بْروتَس : « رُدَّ سَيْفَكَ إِلى غِمْدِهِ . آهٍ يا كاسْيَس ! لَقَدْ ماتَتْ زَوْجَتي پورْشيا . قَتَلَتْ نَفْسَها لِبُعْدي عَنْها ، وَلِازْدِيادِ قُوَّةِ أُوكْتافْيَس وَأَنْطُونْيو . »

وَصَلَ إِلى مَسْمَعِ بْروتَس وَكاسْيَس أَنَّ أُوكْتافْيَس وَأَنْطُونْيو يَتَحَرَّكانِ في اتِّجاهِ فِيلِيبّي ، وَهُوَ مَكانٌ قَريبٌ جِدًّا مِنْ مَواقِعِ جَيْشِهِما ، فَقالَ بْروتَس : « فَلْنَتَحَرَّكْ إِلى فِيلِيبّي عَلى ٱلفَوْرِ . »

أَجابَ كاسْيَس : «لا ، لَنْ نَتَحَرَّكَ . فَإِنَّني أَظُنُّ أَنَّ ذٰلِكَ لَيْسَ مِنَ ٱلحِكْمَةِ في شَيْءٍ ، إِذْ إِنَّهُ مِنَ ٱلأَفْضَلِ لَنا أَنْ يَبْحَثَ ٱلأَعْداءُ عَنّا حَتّى نُقاتِلَهُمْ وَهُمْ مُتْعَبونَ . »

قالَ بْروتَس : «إِنَّ أَهْلَ ٱلمِنْطَقَةِ ٱلَّتي تَقَعُ بَيْنَنا وَبَيْنَ فِيلِيبِّي أَعْداءٌ لَنا ، وَسَيَنْضَمُّونَ إِلى جَيْشِ أَنْطُونْيُو . وَجَيْشُنا ٱلآنَ أَقْوى مِمّا يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ في ٱلمُسْتَقْبَلِ ، وَلِهٰذا يَجِبُ أَلّا تَفوتَنا هٰذِهِ ٱلفُرْصَةُ ، وَإِلّا فَقَدْناها إِلى ٱلأَبَدِ . »

خَيَّمَ ٱلصَّمْتُ عَلى كاسْيَس ، ثُمَّ وافَقَ عَلى أَنْ يَتَحَرَّكَ مَعَ بْروتَس إِلى فِيلِيبِّي لِمُلاقاةِ ٱلأَعْداءِ . وَلٰكِنَّ بْروتَس لَمْ يَنَمْ بَعْدَ أَنْ غادَرَ كاسْيَس خَيْمَتَهُ وَشَرَعَ يَقْرَأُ ، ثُمَّ صَرَفَ خادِمَهُ قائِلًا : «تُصْبِحُ عَلى خَيْرٍ يا بُنَيَّ . »

وَراحَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ وَهُوَ يُقَلِّبُ صَفَحاتِ ٱلكِتابِ : «أَيْنَ وَصَلْتُ ؟ هَلْ هٰذِهِ ٱلصَّفْحَةُ هِيَ ٱلَّتي تَوَقَّفْتُ عِنْدَها في ٱلقِراءَةِ ؟ إِنَّ نُورَ ٱلمِصْباحِ يَخْبُو ! يا لَلْعَجَبِ ! ما هٰذا ؟»

في تِلْكَ ٱللَّحْظَةِ ، ظَهَرَ طَيْفُ قَيْصَرَ أَمامَ ناظِرَيْهِ ، فَصَرَخَ بْروتَس : «لِماذا أَتَيْتَ ٱلآنَ ؟»

رَدَّ عَلَيْهِ ٱلطَّيْفُ : «لَقَدْ أَتَيْتُ لِأُخْبِرَكَ أَنَّكَ سَتَراني في فِيلِيبِّي . »

فِيلِيبِّي

كانَ أَنْطُونْيُو وَأُوكْتافْيَس وَجَيْشُهُما في فِيلِيبِّي .

قالَ أُوكْتافْيَس لِأَنطُونْيُو : «لَقَدْ سارَتِ ٱلأُمورُ يا أَنْطُونْيُو كَما تَمَنَّيْنا . فَقَدْ كُنْتَ تَخْشى أَنْ يَبْقى ٱلأَعْداءُ فَوْقَ ٱلتِّلالِ . إِنَّهُمْ يَهْبِطونَ . وَهُمُ ٱلآنَ في طَريقِهِمْ إِلَيْنا .»

قالَ أَنْطُونْيُو : «إِنَّني أَفْهَمُهُمْ ، فَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ بِذٰلِكَ يُظْهِرونَ لَنا أَنَّهُمْ لَيْسُوا خائِفينَ .»

كانَ كاسْيَس يَسْتَعِدُّ لِلْمَعْرَكَةِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ سَعيدًا . فَقَدْ رَأَى طُيورًا ضَخْمَةً تُحَلِّقُ فَوْقَ جُنودِهِ ، وَتَتْبَعُهُمْ أَيْنَما ذَهَبوا ، كَأَنَّها تَبْحَثُ عَنْ جُثَثِ ٱلقَتْلى لِتَتَغَذّى بِها .

قالَ لِبْرُوتَس : «لَوْ خَسِرْنا هٰذِهِ ٱلمَعْرَكَةَ ، فَسَيَقْتادُونَكَ إِلى ٱلسِّجْنِ عَبْرَ شَوارِعِ رُوما .»

رَدَّ عَلَيْهِ بْرُوتَس قائِلًا : «لا يا كاسْيَس ! لا تُفَكِّرْ في هٰذا ! فَٱليَوْمَ يَنْتَهي ما بَدَأْناهُ مُنْذُ أَنْ قَتَلْنا قَيْصَرَ ، وَلَسْتُ أَدْري هَلْ سَنَلْتَقي ثانِيَةً ؟ لِذا فَلْنَقُلْ وَداعًا ، فَإِذا ٱلْتَقَيْنا مَرَّةً أُخْرَى ضَحِكْنا مِمّا نَحْنُ فيهِ ، وَمِنَ ٱلأَفْضَلِ أَنْ يُوَدِّعَ كُلٌّ مِنّا صاحِبَهُ ٱلآنَ ، فَقَدْ لا نَلْتَقِي !»

أَنْبَلُ ٱلرُّومانِ

بَدَأَتِ ٱلمَعْرَكَةُ ، وَكانَتِ ٱلحَرْبُ سِجالًا بَيْنَ أَنْطُونْيُو وَبْرُوتَس . وَلٰكِنْ في ٱلنِّهايَةِ أَخَذَ رِجالُ كاسْيَس يَتَراجَعونَ ، وَأَحْرَقَ أَنْطُونْيُو خِيامَ جَيْشِ

كاسْيَس . وَعِنْدَما رَأى كاسْيَس أَنَّ جَيْشَهُ قَدْ هُزِمَ ، طَلَبَ مِنْ أَحَدِ جُنودِهِ أَنْ يَضَعَ حَدًّا لِحَياتِهِ ، حَتَّى لا يَقَعَ أَسيرًا في يَدِ أَنْطُونْيُو .

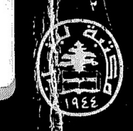
وَجَدَ بْروتَس جُثَّةَ كاسْيَس عِنْدَ سَفْحِ تَلٍّ مِنَ ٱلتِّلالِ ، وَرَأى سَيْفَ صَديقِهِ ٱلشُّجاعِ كاسْيَس ، وَقَدْ نَفَذَ نَصْلُهُ في قَلْبِهِ . حِينَذاكَ تَذَكَّرَ طَيْفَ قَيْصَر ، وَعَرَفَ أَنَّهُ سَيَخْسَرُ ٱلمَعْرَكَةَ .

إِسْتَمَرَّ ٱلقِتالُ ، وَقُتِلَ أَصْدِقاءُ بْروتَس ٱلواحِدُ بَعْدَ ٱلآخَرِ ، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ سِوى عَدَدٍ قَليلٍ مِنْهُمْ . وَرَغْمَ كُلِّ ذٰلِكَ ، لَمْ يَهْرُبْ بْروتَس عِنْدَما سَمِعَ وَقْعَ أَقْدامِ أَعْدائِهِ ؛ فَقَدْ كانَ مِثْلَ كاسْيَس بالِغَ ٱلشَّجاعَةِ ، لِـذٰلِكَ أَمَرَ أَحَدَ جُنودِهِ أَنْ يُشْهِرَ سَيْفَهُ ، وَأَلْقى نَفْسَهُ عَلى طَرَفِ ٱلسَّيْـفِ ، فَقَضى نَحْبَـهُ ، وَهُوَ يَصيحُ : « نَمْ قَريرَ ٱلعَيْنِ يا قَيْصَر ، فَلَمْ تَكُنْ لي رَغْبَةٌ في قَتْلِكَ ، مِثْلَما رَغِبْتُ في قَتْلِ نَفْسي . »

نَظَرَ مارْك أَنْطُونْيُو إِلى جُثَّةِ بْروتَس ، وَقالَ : « كانَ بْروتَس أَنْبَلَ ٱلرُّومانِ ؛ فَقَدْ كانوا جَميعًا يَطْمَعونَ في ٱلِاسْتِيلاءِ عَلى سُلُطاتِ قَيْصَر ، أَمَّا بْروتَس فَلَمْ يَكُنْ يُفَكِّرُ إِلَّا فيما يَعودُ بِالنَّفْعِ عَلى كُلِّ ٱلنَّاسِ . لَقَدْ كانَ في ٱلحَقيقَةِ رَجُلًا عَظيمًا . »

روائع شكسبير

١ ـ كما تهوى وزوبعة في فنجان
٢ ـ تاجر البندقية وقصص أخرى



مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت
رقم مرجع كمبيوتر 302 198 C 01